الدُّعَاءُ
وَأَسْرَارُ الإِجَابَةِ

(مِئَةٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَقْفَةً مَعَ عِبَادَةِ الدُّعَاءِ)

تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م

مقدِّمة

الحمدُ للهِ الرَّحيم الودود، واسعِ الفضلِ والجود، يبتدئُ النِّعَمَ قبلَ استحقاقِها، ويُفيضُ بالخيراتِ قبلَ أوانِها، لا يُخيِّبُ من دعاه، ولا يردُّ من رجاه.

أمَرَ عبادَه بسؤالِه ليزيدَهم من فضلِه، ويُكرمَهم بعطائِه، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ من دعا ربَّه بقلبٍ حاضر، وفقرٍ ظاهر، ففازَ بأكملِ العطايا، ونالَ الحُسنى وزيادة.

رحمَ اللهُ به أُمَّتَه، وجعلَه دليلًا لهم إلى سبيلِ سعادتِهم، فكان ممّا حثَّهم عليه العنايةَ بعبادةِ الدُّعاءِ، وإرشادَهم إلى تقويةِ الاتِّصالِ بربِّ السَّماء، فكانت توجيهاتُه في هذا الباب بيِّنة، ووصاياه في هذا الشأن واضحة، وبعدُ:

فمن المعلوم أنَّه ما من أحدٍ من البشر إلّا وأعظمُ أمانيهِ تحقُّقُ مطالبِه، بل قد تكون عند المرءِ من الأماني ما لو قيل له: أتبذلْ أغلى ما تملك وتتحقَّقْ لك لرضيَ بذلك.

وقــد جعلَ اللهُ لتحقيــقِ ما يطلبُــه العبدُ ويرجوه أســبابًا شــرعيَّةً وحسِّــيَّة، فعلــى العبــدِ ألّا يُخالِفَ هذه السُّــنَّة، بل يســيرَ عليهما كما أمرَه اللهُ تعالى، ولعلَّ من أعظمِ الأسبابِ الشرعيَّة والقدريَّة لتحقيقِ المطالب: الدُّعاء.

قال ابنُ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (إنَّ اللهَ إذا أرادَ أن يســتجيبَ لعبدٍ أذِنَ له في الدُّعاء).

وقــال مالكُ بــنُ أنــسٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: (إنَّ اللهَ إذا أرادَ أن يُبارِكَ لعبدٍ في حاجةٍ أذِنَ له فيها بالدُّعاء).

وقال شيخُ الإســلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ: (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا ألهمَه دعاءَه، وجعلَ ذلك سببًا للخيرِ الذي قضاه له).

وقــال الحافــظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: (فالســعيدُ مــن وفَّقَه اللهُ تعالى لســؤالِه، فإنَّه تعالى قــد تكفَّلَ بإجابةِ الدَّاعي إذا دعاه).

وعبادةُ الدُّعاءِ لها المنزلةُ العليَّة، والمرتبةُ الرَّفيعة، والثمرةُ العظيمة؛ فالدُّعاءُ هو الحبلُ الممدودُ بين العباد وربِّهم، والسببُ الأعظمُ لحصولِ الخيراتِ كلِّها، ودفعِ الشُّرورِ أجمعِها.

ولا ترى عبدًا ملازمًا للدُّعاءِ إلّا وكان التوفيقُ حليفَه، وتيسيرُ الأمور رفيقَه؛ وإن تعكَّرتْ عليه بعضُ شؤونِه، أو تأخَّرتْ عليه بعضُ مطالبِه، فإنَّه يوقنُ أنَّ العاقبةَ أتم، والآتي أفضل، والقادمَ أجملُ وأكمل.

وليس الدُّعاءُ مجرَّدَ طلبٍ ومسألة، بل هو عبادةٌ واسعةُ المعاني، عظيمةُ المقاصد، وكلَّما كان العبدُ أفقهَ بأمرِ الله، اتَّسعت مداركُه في فهمِ أوامرِه، ورأى فيها العلمَ، والحكمةَ، والرَّحمةَ، واللُّطف.

وثمرةُ عبادةِ الدُّعاءِ ليست محصورةً في إجابةٍ عاجلة، بل هي أعظمُ من ذلك وأبقى، كما سيتبيَّن معك ذلك في صفحاتِ هذا الكتاب.

ولـمَّـا كانت عبادةُ الدُّعاءِ بهذه المنزلـةِ الرَّفيعة، أحببتُ أن أُشاركَ إخواني في إلقاءِ الضَّوء عليها من جوانبَ متنوِّعة، رأيـتُ أنَّه لـم يُتطرَّقْ إلى بعضِهـا من قبل، وذلـك بما فتحَ اللهُ ويسَّـر، فالإحاطةُ بجميعِ جوانبِ هـذه العبادة لا يكونُ أبدًا، ولم يزلْ أهلُ العلم قديمًا وحديثًا يتناولونها لشـرفِها، وجليلِ مكانتِها، كلٌّ بحسـبِ ما يفتحُ اللهُ عليه، وما يتبيَّن له من النُّصوص ومقاصدها، فأردتُ مشاركتَهم هذا الشرف.

وهـذا الكتـابُ محاولـةٌ لجمـع جملـةٍ مـن الهدايات الإيمانيّة، والتوجيهات التربويّة، والقواعد الشرعيّة في عبادة الدُّعاء، مستمدّةٍ من كتاب الله تعالى، وسُنّة نبيّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكلام أهل العلم، مـع العناية بفقه الدُّعاء، وآدابه، وأحوال القلـب فيه، وثمراتـه العاجلـة والآجلة، ومواطـن إجابته، ونماذج من أدعيته الجامعة.

وقد قسَّمتُ الكتابَ إلى ثمانيةِ مباحث، وهي كالتالي:

١. هداياتٌ عامَّةٌ في عبادةِ الدُّعاء.

٢. آدابُ الدُّعاء.

٣. فقهُ عبادةِ الدُّعاء.

٤. توجيهاتٌ مهمَّةٌ في الدُّعاء.

٥. الدُّعاءُ وأسماءُ اللهِ الحُسنى.

٦. الدُّعاءُ والعباداتُ القلبيَّة.

٧. الدُّعاءُ ومواطنُ الإجابة.

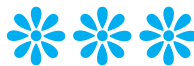
٨. دعواتٌ جامعةٌ لها منزلةٌ وشأن.

وسعيتُ إلى ذكرِ بعضِ الأمورِ المتعلِّقة بالدُّعاءِ بالتفصيل؛ فما كان مُجمَلًا في موضعٍ جعلتُه مُفصَّلًا في موضعٍ آخر.

واعلمْ -يا رعاك الله- أنَّ الدُّعاءَ جامعٌ للخيرِ كلِّه؛ يقول بعضُ السَّـلف: (نظرتُ في أفضلِ الأعمال، أهي الصَّلاة، أو الصَّدقة، أو الذِّكر، أو البِرّ؟ فإذا كلُّها بيدِ الله تعالى، ولا يُوفَّقُ لها إلّا هو، فعلمتُ أنَّ خيرَ الأعمال هو الدُّعاءُ الجالبُ لهذه الخيراتِ كلِّها).

واللهَ أسألُ أن ينفعَني وإخواني بما كتبتُ، وأن يرزقَنا فقهَ الدُّعاءِ، والفوزَ بثمرتِه، وأن يستجيبَ لنا دعواتِنا، ويجعلَها لنا ذُخرًا يومَ نلقاه.

كتبه العبدُ الفقيرُ إلى عفوِ ربِّه
عادلُ بن عبدالعزيزِ الجهني
addeel333@gmail.com
00966504392260



(١)

هداياتٌ عامَّةٌ في عبادةِ الدُّعاء (١-١١)

١. منزلةُ الدُّعاء.

٢. الإخلاصُ في الدُّعاء.

٣. مقاصدُ عبادةِ الدُّعاء.

٤. بين الدُّعاء والإيمانِ بصفاتِ الله.

٥. القرآنُ الكريمُ والدُّعاء.

٦. هديُ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّعاء.

٧. الدُّعاءُ ورحمةُ الله.

٨. الدُّعاءُ ووجدان حلاوةُ الإيمان.

٩. لا تكن أعجزَ النَّاس.

١٠. غضبُ الله على من لا يدعوه.

١١. حُبُّ الله للدُّعاء.

(١) منزلةُ الدُّعاءِ

للدُّعــاءِ منزلةٌ عظيمــة، ورُتبةٌ رفيعة، جــاءتِ النُّصوصُ ببيــان فضلِه ومكانتِــه؛ قال سـبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافـر: ٦٠]، فإذا دعوتَ اللهَ، فانوِ التقرُّبَ إليه بهذه العبادة، كما تتقرَّبُ بسـائرِ العبـادات من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وغيرها؛ فالدُّعاء عبادةٌ يُتعبَّدُ اللهُ بها، وهذه نيةٌ يغفل عنهـا كثيرٌ من الداعيـن، فيجعلون همَّهـم تحصيلَ الإجابةِ فحسب، ولا يستحضرون قصدَ التعبُّدِ والتقرُّب.

ومن دلائلِ علوِّ منزلته: أنَّ اللهَ بشَّر بقُربه من داعيه؛ ليستبشرَ بقُربِ الإجابةِ منه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وبيَّنت السُّـنَّةُ - وهي المُفسِّـرةُ للقرآن - فضـلَ الدُّعاءِ ومكانتَـه وآدابَه، فجـاءتِ الأحاديثُ مؤكِّدةً لعظيمِ شـأنه؛

ففي السُّنن من حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعاءُ هو العبادةُ**». رواه الترمذي وصحَّحه الألباني.

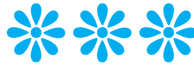
ورُوي عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: (**مَن فُتِحَ له منكم بابُ الدُّعاءِ فُتِحَتْ له أبوابُ الرَّحمة...**). رواه الترمذي.

وروى الحاكمُ بإسنادٍ حسنٍ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**أفضلُ العبادةِ الدُّعاءُ**».

وفي حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس شيءٌ أكرمَ على اللهِ من الدُّعاءِ**». أخرجه الترمذي، وهو حديثٌ حسن.

فالدُّعاءُ عبادةٌ كريمةٌ على الله، وما ذاك إلّا لأنَّه يجمع أعظمَ معاني العبوديَّة؛ من إظهارِ العجزِ والخضوع، والافتقارِ إلى الله، والاعترافِ بكمالِ قدرته.

فإذا أيقـن العبدُ بهذه المنزلةِ العظيمـةِ للدُّعاءِ، اعتنى به عنايةً فائقة، ولم يجعله وقتَ الفراغِ أو المناسباتِ فحسب، بل يكون مُداومًا عليه، مُتحرِّيًا أوقاتَه الفاضلة، آتيًا بأسبابِ الإجابـة؛ وحـريٌّ بمثـلِ هـذا أن ينـال فضلَه، ويـرى أثَرَه، وتتحقَّق له كثيرٌ من مطالبه.



(٢) الإخلاصُ في الدُّعاءِ

أمَـرَ اللهُ بالإخـلاصِ في الدُّعـاءِ وغيرِه، فقال سـبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤].

قـال ابـنُ كثيـرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي: أخلِصوا لله وحـدَه العبادةَ والدُّعاء).

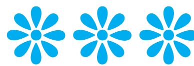
ولا بُـدَّ أن يوقـنَ الداعـي أنَّ الإخلاصَ أعظمُ أسـبابِ اسـتجابةِ الدُّعـاءِ؛ فالمُخلِـصُ عملُـه مقبـول، وهو أحرى بالإجابـة، وإن لم يرَ لهـا أثرًا عاجلًا؛ إذ يكفيـه قبولُ عبادةِ الدُّعاءِ منه، وهذا أعظمُ فوزٍ يناله العبد.

ولذا ينبغي للداعي أن يستحضرَ هذا المعنى عند دعائِه، فيُخلِـصَ لله فيه، ويُعلِّقَ قلبَه بربِّه، ولا يلتفتَ إلى غيره؛ فإنَّ القلوبَ إذا تعلَّقت بالله أقبلت عليه، وإذا التفتت إلى سـواه ضعفتْ ووهنتْ.

۞ **ويتحقَّق الإخلاصُ في الدُّعاءِ بأمورٍ، من أهمِّها:**

* استحضارُ الامتثالِ لأمرِ اللهِ الَّذي أمرَ بهذه العبادة.
* التوجُّهُ بالقلبِ إلى اللهِ وحده، دون التفاتٍ إلى غيره.
* إخفاءُ الدُّعاءِ قدْرَ المستطاع؛ فإنَّ ذلك أدعى للإخلاص.
* الرِّضا باختيارِ اللهِ في الإجابة أو تأخيرِها.
* الدُّعاءُ للمؤمنين، وطلبُ الخيرِ لهم كما يطلبه الداعي لنفسه.

فمتى تحقَّق الإخلاصُ في الدُّعاءِ، عَظُم أثرُه في القلب، وقويتْ ثمرتُه، وكان العبدُ على خيرٍ في عاجلِه وآجلِه.



(٣) مقاصدُ عبادةِ الدُّعاء

يقصُرُ كثيرٌ من المسلمين غايتَهم من الدُّعاءِ على تحقُّقِ المطالـب، ويربطون بينه وبين الإجابة ربطًا مباشـرًا، وكأنَّ الدُّعـاء (أنـا أدعو لأجـل أن يُسـتجاب لي فقـط)، ومع أنَّ الواقع يشهد أنَّ العبد يدعو بدعواتٍ كثيرةٍ ولا يرى لها أثرًا عاجلًا.

وبسبب هذا الفهم الضيّق يُقصِّر كثيرٌ من الناس في الدُّعاء؛ فلا يدعون إلّا قليلًا، أو لا يلجؤون إليه إلّا في المناسبات أو الشدائد، وربما تركوه إذا لم يروا إجابةً عاجلة.

الدُّعاء - أيُّها الموفَّق - عبادةٌ عظيمة المقاصد، واسـعة الآثار، ومن أبرز مقاصده:

* **إظهارُ الافتقار التام إلى الله، والاعترافُ بالحاجة إليه في كلِّ شأن.**

* زيادةُ الإيمان واليقين بقدرة الله على كلِّ شـيء؛ فهو القادر على الهداية بعد الضلال، والفرج بعد الكرب، والغِنى بعد الفقر.

* الإيمـانُ بكمـال حكمـة الله في العطـاء والمنع؛ فهو لا يمنـع بخـلًا ولا عجـزًا -سـبحانه عن هـذا الظنِّ الفاسدِ-، وإنَّما يمنع بحكمة، ويُعطي بفضل.

* الاعترافُ بعجز العبد، وأنَّ أمره كلَّه بيد ربِّه وخالقِه.

* الرِّضا باختيار الله، والتسليم لقضائه.

* حُسنُ الظنِّ بالله، واليقينُ بأنَّه لا يُخيِّب من رجاه.

* التفاؤل بجمال العِوَض من الله إذا لم يتحقَّق المطلوب بعينه.

* انتظارُ الفرج، وهو عبادةٌ بحدِّ ذاته.

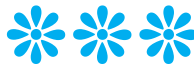
* لزومُ سبيل أهل الإيمان في التعبُّد لله بالدُّعاء لذاته.

* تجديدُ الأمل مع كلِّ دعاء.

* **الرغبةُ الصادقة في ثواب الدُّعاء في الدار الآخرة.**

وهـذه المقاصـد - وغيرهـا - لهـا أثرٌ عظيـمٌ في قلب الداعـي، ولعلَّها إن استقرت في نفسـه كانـت أنفع له من تحقُّـق مطلوبـه العاجـل؛ إذ بها تكمُـل عبوديَّتـه، ويقوى إيمانه، ويطمئنُّ قلبه.

والمقصود أن ينظر العبدُ إلى الدُّعاء على أنَّه عبادةٌ قائمة بذاتها، لها مقاصد شـرعيَّة عظيمة، فيُداوم عليها سواءٌ رأى الإجابة أم لم يرَها، ويجتهد لإدراك لذَّتها، مع رجاء الثواب الجزيل عليها.



(٤) بين الدُّعاء والإيمانِ بصفاتِ الله

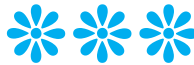
الدُّعاء عبادةٌ عظيمةُ القدر، رفيعةُ الشأن، وهو – كما تقدَّم – ليس مجرَّدَ رفعِ مطالبَ ومسائل، بل عبادةٌ واسعةُ المعاني، وسِمةٌ ظاهرةٌ من سمات المؤمن الصادق الإيمان.

ففعْلُ الدُّعاءِ دليلٌ بيِّنٌ على إيمان العبد بصفات ربِّه؛ فالداعي يؤمن أنَّ ربَّه سميعٌ لدعائِه ودعاءِ غيره، بصيرٌ بحالِه وحالِ كلِّ مفتقرٍ إليه، عليمٌ بحاجتِه واضطرارِه، قريبٌ منه، رؤوفٌ به، كريمٌ واسعُ الفضل، قادرٌ على إجابة دعوته، وإجابة جميع السائلين، وهو على يقينٍ من سعة عطائِه، وعموم رحمتِه، وكثرة إحسانِه، ولطفِه بعبادِه....

وهذه كلُّها عبوديّاتٌ قلبيّةٌ عظيمةُ القدر عند الله تعالى.

وهـذه المعـاني الجليلة لها أثرٌ بالـغٌ في القلب، وهي من أعظم أسـباب زيادة الإيمان، وأقرب الطُّرق إلى رضا الربِّ الرحمن؛ فكلَّما كان العبدُ بالله أعرف، كانت عباداتُه القلبيّة أعظم، فيقوى توكُّلُه، ويعظم صبرُه، ويكمل رضاه، ويزداد يقينُه بالإجابة.

فيرضى اللهُ عن الداعي بسـبب هذه العبوديّات، ويُعطيه فـوق ما يظنّ، فما أجلَّ عبادةَ الدُّعاءِ، وما أرفع شـأنَها، وما أحسن ثمرتَها على صاحبِها. فاعرف - يا رعاك الله - منزلتَها، واقدُرها حقَّ قدرِها.



(٥) القُرآنُ الكَريمُ والدُّعاءُ

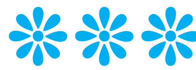
إذا تأمَّلتَ كتابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وجدتَ الدُّعاءَ حاضرًا في مواضعَ كثيرةٍ منه، بل إنَّ القُرآنَ افتُتِحَ بالدُّعاءِ واختُتِمَ به؛ ففي فاتحةِ الكتابِ الثناءُ على اللهِ، ثمَّ أعظمُ دُعاءٍ يحتاجُه العبدُ، وذلك حين يدعو بقوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾، وخاتمتُه سورةُ النَّاسِ، وفيها الاستعاذةُ باللهِ، والاعتصامُ به، وصدقُ اللُّجوء إليه.

وقد جاءت آياتُ القُرآنِ الكريمِ حاثَّةً على لزومِ الدُّعاءِ، مبيِّنةً منزلتَه، مؤكِّدةً أنَّه من أعظمِ أسبابِ القُربِ من اللهِ، وأجلِّ السُّبُلِ لتحصيلِ الخيرِ في الدُّنيا والآخرة.

وهو مَعينٌ زاخرٌ بالدعواتِ الجامعةِ، التي إذا حفظها المؤمنُ ولازمها سَعِدَ في دنياه وأُخراه.

كما اشتمل القُرآنُ على دعواتِ الأنبياءِ الكرامِ، ودعواتِ المؤمنين الصالحين، والتي ظهر فيها الخضوعُ للهِ، والتذلُّلُ بين يديه، والانكسارُ لعظمتِه؛ ليتعلَّمَ المؤمنُ كيف يدعو ربَّه بأدبٍ وخشوعٍ وحضورِ قلبٍ.

فالقُرآنُ العظيمُ منهجُ المؤمنِ في جميعِ شؤونِ حياتِه، ومن أعظمِ مظاهرِ الاتِّباعِ له: العنايةُ بعبادةِ الدُّعاءِ، ولزومُ هذا البابِ الشريفِ. وسيأتي - بإذنِ اللهِ - مزيدُ بيانٍ لبعضِ دعواتِ القُرآنِ، ومعانيها، وآثارِها.



(٦) هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ في الدُّعاءِ

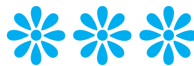
إذا تأمَّلتَ في سيرةِ النبيِّ ﷺ وهديِه، وجدتَه شديدَ العنايةِ بهذه العبادةِ؛ فقد كان كثيرَ الدعاءِ، عظيمَ الرجاءِ، ظاهرَ الافتقارِ إلى اللهِ، وكيف لا يكونُ كذلك، وهو أعلمُ الخلقِ بربِّه، وأعرفُهم بسعةِ جودِه وفضلِه، وأيقنُهم بحاجةِ العبدِ إلى مولاه، وأنَّه لولا فضلُ اللهِ ورحمتُه ما أدرك العبدُ شيئًا ممّا يطلبُه أو يرجوه.

وكانت دعواتُه ﷺ مستغرقةً حياتَه كلَّها، ليلَه ونهارَه -في صلاتِه، وفي مجالسِه، وفي دخولِه وخروجِه، وفي مختلفِ أحوالِه-؛ يدعو لنفسِه، ولأهلِ بيتِه، ولأصحابِه، ولأمّتِه عامَّةً، بل ربَّما دعا لبعضِ أعدائِه بالهدايةِ وانشراحِ الصدرِ للإسلام.

وقـد حُفِظـت في دواويـنِ السُّـنَّةِ دعـواتٌ عظيمـةٌ لـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منهـا ما هو لأفـرادٍ من أصحابِـه، ومنها ما هو جوامعُ لأمّتِه، تُبيِّن كمالَ شـفقته، وصدقَ نصحِه، وحرصَه على الخيرِ لهم.

ومن أعظمِ دلائلِ رحمتِه بأمّتِه أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أخَّر دعوتَه المسـتجابة،** فجعلها شـفاعةً لهم يومَ القيامـة، رحمةً بهم، وحرصًا على نجاتِهم.

وهـذا كلُّه يـدلُّ على المكانـةِ العظيمةِ للدُّعاءِ في سُـنَّتِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمَـن أراد الاقتداءَ بنبيِّه حقَّ الاقتداء، فحريٌّ به أن يتعرَّفَ على هذا الهـدي المبارك، وأن يُكثِرَ من الدُّعاءِ، ويُلازمَه في جميعِ أحوالِه، تأسِّيًا بسيِّده وقدوتِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(٧) الدُّعاءُ ورحمةُ اللهِ

مظاهـرُ رحمةِ اللهِ بالعبادِ لا تُحصـى؛ ففي كلِّ نَفَسٍ من أنفاسـهم تتجلَّى رحمتُه؛ فالصِّحَّةُ رحمـة، والعافيةُ رحمة، والطُّمأنينةُ رحمة، وتيسيرُ الأمورِ رحمة.

ومن أعظمِ مظاهرِ رحمته: أن شرعَ لعبادِه الدُّعاء، ورغَّبهم فيه، ووعدهم بالإجابة، فهو الغنيُّ الكريمُ واسعُ الجود.

ومظاهرُ رحمةِ الله تعالى في عبادةِ الدُّعاءِ كثيرة، من أبرزها:

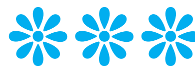
* مشـروعيَّةُ الدُّعـاءِ، وحثُّ العبادِ عليـه، وبيانُ منزلتِه وعلوِّ شأنِه.
* إلهامُ العبدِ الدُّعاءَ؛ فليس كلُّ المسـلمين يُوفَّقون له، فإذا وُفِّقتَ إليه فاعلم أنَّ اللهَ أراد بك خيرًا.
* أنَّ الداعي رابحٌ على كلِّ حالٍ؛ فإمّا:

- أن ينالَ تحقيـقَ المطلوبِ له، أو يُعوَّضَ بخيرٍ منه فضلًا ورحمةً.

- أو دفعُ الشُّرور عن العبد بسبب دعائِه.
- أو ادِّخـارُ الدُّعاءِ للآخـرة، ليجدَ العبـدُ ثوابَه يومَ يلقى ربَّه.

* كثرةُ مواطنِ الإجابة، وتنوُّعُ أوقاتِها وأحوالِها.
* زيـادةُ الفضلِ مع كثرةِ الدُّعاءِ؛ فكلَّما أكثَرَ العبدُ زاده اللهُ من فضلِه.
* غضــبُ اللهِ علـى مَن تـرك الدُّعاء، وهـو من أعجبِ دلائلِ رحمته وسعةِ كرمه.
* بقاءُ أثرِ الدُّعاءِ زمنًا طويلًا في حياةِ العبد.

فهـذه الرَّحمـاتُ وغيرها تدعـو المؤمنَ إلى لـزوم هذا البابِ الكريم، والتعرُّض لنفحاتِ الله، وعدمِ حرمانِ النفسِ من الخيرِ بالتفريطِ في الدُّعاءِ.



(٨) الدُّعاءُ ووجدانُ حلاوةِ الإيمانِ

يجتهـدُ كثيـرٌ مـن المؤمنيـن في طلـبِ حـلاوةِ الإيمان وبلوغِهـا، وهـو مطلبٌ نفيـسٌ عزيز، غيـرَ أنَّ الوصولَ إليه ليـس بالأمر الهيِّن، وقـد جعلَ اللهُ لذلك أسـبابًا كثيرة، من أعظمِهـا الإكثارُ مـن الدُّعاءِ، وصدقُ التوجُّـه إليه، وإظهارُ الافتقارِ بين يديه.

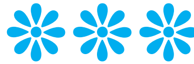
فالدُّعاءُ الصادقُ له حلاوةٌ لا تُدرَك بالألفاظ، ولا تُوصَف بالعبارات، وإنَّما يجدها مَن ذاقها؛ ففيه لذَّةٌ يلمسُـها القلبُ عند صدقِ المناجـاة، وخضوعِ النفس، واسـتحضارِ الفقرِ والحاجةِ إلى الله.

وتكون هذه الحلاوةُ أظهرَ ما تكون حين يُخلِصُ الداعي في دعائه، ويُحضِرُ قلبَه، ويُناجي ربَّه بانكسارٍ وتذلّل.

وقد كان هذا المعنى ظاهرًا في دعواتِ النَّبيِّ ﷺ؛ ففي الصحيح عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه ذكر دعاءَ النَّبيِّ ﷺ إذا قام من الليل، وما فيه من إطالةِ الثناء على الله، وتعظيمِه، والاعترافِ بكمالِ ربوبيَّته وملكِه ووعدِه ولقائِه، ولا شكَّ أنَّ مثلَ هذه المناجاةِ الصادقة تُثمِرُ حلاوةَ الإيمان، وتملأ القلبَ أُنسًا بالله، وقُربًا منه.

ومتى بدأ العبدُ دعاءَه بالثناءِ على الله، وتأمَّل معانيَ ما يقول، واستحضر نعمَ اللهِ عليه وإحسانَه الدائم، وجد حلاوةَ الدُّعاءِ وذاق لذَّتَه، وتزداد هذه الحلاوةُ حين يتلقَّى ما يقضيه اللهُ له بقلبٍ راضٍ، ويقينٍ بحكمتِه، عالمًا أنَّ تأخيرَ بعضِ المطالب قد يكون رحمةً، ورفعةً في الدرجات، وزيادةً في الأجر.

وأقـربُ مـا تُـدرَك هـذه الحـلاوةُ في أوقـاتِ الخلـوة، كساعاتِ السَّحر، وجوفِ الليلِ الآخر، وحالِ السجود، وعند إقبالِ القلب على المناجاة. فاحرِص - يا رعاكَ الله - على إدراكِها؛ فإنَّها من أعظمِ ما يملأ القلبَ إيمانًا، ويزيدُه قُربًا من الرحمن.



(٩) لا تَكُنْ أَعْجَزَ النَّاسِ

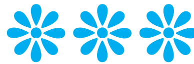
العجزُ أنواعٌ بعضُه أظهرُ من بعض، وأشدُّها عجزُ المرءِ عـن أمرٍ يجلـبُ له الخيرَ كلَّه، ويدفعُ عنه الشـرَّ الكثير، ولا يُكلِّفه مشـقَّةً ولا عنـاء؛ وذلك هو العجزُ عـن الدُّعاءِ. وقد جـاء في الحديث: «وَإِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ بِالدُّعَاءِ» رواه البخاريُّ في الأدب المفرد، وصحَّحه الألباني.

ومعَ سُـهولةِ الدعاءِ ويُسـرِه، فـإنَّ كثيرًا من المسـلمين لا يلجـؤون إليه إلّا نـادرًا، أو إذا نزلتْ بهم نازلةٌ، فيحرمون أنفسَهم خيرًا كثيرًا بعجزِهم وتفريطِهم.

والدُّعاءُ عبادةٌ تُفعـلُ في كلِّ وقتٍ، وعلى كلِّ حالٍ، وفي كلِّ مكانٍ - إلّا ما نُزِّه عنه - ومع ذلك يعجزُ عنها كثيرون.

فلْيُراجِـعِ العبـدُ حالَـه مع الدُّعـاءِ، وليتخلَّـص من هذا التفريط، وليُكثِرْ من الدُّعاءِ؛ لئلّا يحرم نفسَه الخير.

ومـن أعظمِ أسـبابِ كثرةِ الدُّعـاءِ أن يُعوِّد المرءُ نفسَـه عليه في جميـعِ أحوالِه، وأن يجعله من العبـاداتِ الملازمة له؛ ويتحـرَّى مواطنَ الإجابة وأوقاتَها، ويجعلَ الدُّعاءَ أوَّلَ ما يلجأ إليه عند نزولِ الشدائد، راجيًا فضلَ اللهِ ومعونتَه.



(١٠) غَضَبُ لله على مَن لا يَدعوه

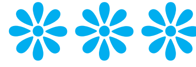
جاء في مسند الإمام أحمد من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن لم يَدعُ اللهَ سبحانه غَضِبَ عليه»[١] وفي لفظِ الترمذي: «مَن لم يَسألِ اللهَ يَغضَبْ عليه».

فاللهُ تعالى له الرُّبوبيَّةُ الكاملةُ على عبادِه، وتركُ سؤالِه غفلةٌ ظاهرةٌ، ومظهرٌ من مظاهرِ الحرمانِ من فضلِ اللهِ، ومعلومٌ أنَّ العبدَ لا غِنى له عن فضلِ ربِّه طرفةَ عين.

وفي المقابل، فإنَّ مَن يسألُ اللهَ ويرفعُ إليه حاجتَه ينال رضاه ومحبّتَه؛ لأنَّ الدُّعاءَ إظهارُ فقرٍ، واعترافُ عجزٍ، وصدقُ لجوءٍ إلى الله.

وإذا تأمَّلتَ حكمةَ غضبِ اللهِ على مَن لا يدعوه، أيقنتَ من سعةِ كرمِه وكثرةِ جودِه؛ فالنفعَ كلَّه راجعٌ إلى العبدِ نفسِه، ومع ذلك فاللهُ يغضبُ عليه، وذلك لكمالِ رحمته به.

إنَّ تـركَ الدُّعاءِ قطعٌ للحبـلِ الممدودِ بيـن العبدِ وربِّه، وإغـلاقٌ لبـابٍ عظيمٍ من أبـوابِ الخير، وسـببٌ للحرمانِ والخذلان.



(١١) حُبُّ اللهِ للدُّعاءِ

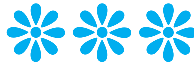
جاء عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «سَلُوا اللهَ من فضلِه، فإنَّ اللهَ يُحبُّ أن يُسأَلَ، وإنَّ أفضلَ العبادةِ انتظارُ الفرج». رواه الترمذي.

وهذا يدلُّ على كمالِ كرمِ الله، وسعةِ جودِه؛ فهو سبحانه يُحبُّ من عبادِه أن يسألوه، ويُلحّوا عليه في المسألة، ويُكثِروا من دعائِه، من غير اعتداءٍ ولا تجاوز.

وحُبُّ اللهِ للدُّعاءِ دليلٌ على أنَّه عبادةٌ جليلة، وقُربةٌ عظيمة، تجتمعُ فيها معاني الافتقار، والخضوع، والانكسار، وحُسنِ الظنِّ بالله، وانتظارِ عطائِه.

فمتى لازم العبدُ الدُّعاءَ، نال محبّةَ الله ورضاه، وفاز بخيرٍ كثيرٍ في دنياه وأُخراه.

وما أسوأَ حرمانَ العبدِ من فضلِ ربِّه بالإعراضِ والغفلة، وما أحراه - لو عقل - أن يُداومَ على هذه العبادةِ العظيمة، ويُخلِصَ فيها لربِّه، ويُظهِرَ فقرَه وضعفَه، ويدعوه خوفًا وطمعًا؛ فإنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ من المحسنين.



(٢)

آدابُ الدُّعاءِ (١٢–١٩)

١٢ . آدابٌ عامَّةٌ لِلدُّعاءِ.

١٣ . الثَّناءُ على اللهِ تعالى، والصَّلاةُ على النَّبيِّ ﷺ في أوَّلِ الدُّعاءِ وفي أثنائِهِ.

١٤ . إخفاءُ الدُّعاءِ.

١٥ . ادعُ اللهَ وأنتَ مُوقِنٌ بالإجابةِ.

١٦ . العزيمةُ عند السُّؤالِ.

١٧ . لا تَستعجِلِ الإجابةَ فتتركَ الدُّعاءَ.

١٨ . تَكْرَارُ الدُّعَاءِ ثَلَاثًا.

١٩ . الإلحاحُ في الدُّعاءِ.

(١٢) آدابٌ عامَّةٌ لِلدُّعاءِ

لِلدُّعـاءِ آدابٌ واجبـةٌ، وآدابٌ مُسـتحبَّةٌ؛ فمَـن أتى بهذه الآدابِ أو بعضِهـا كان أحرى بقبولِ الدُّعـاءِ من غيرِه، ولا يعنـي ذلـك أنَّ العبدَ لا يدعـو ربَّه إلَّا مع اسـتكمالِها كلِّها، وإنَّما المقصودُ الحرصُ على الإتيانِ بما تيسَّر منها؛ فإنَّ اللهَ كريمٌ في تعامُلِه مع عبده.

فمِن آدابِه الواجبةِ:

الإخـلاصُ للهِ في الدُّعـاءِ، فـلا يُدعَـى إلَّا هـو، لا مَلَكٌ ولا نبيٌّ ولا وليٌّ.

ومن الآدابِ الواجبةِ كذلك:

تركُ أكلِ الحـرام، وأداءُ الفرائـضِ والواجبات، والبُعدُ عن المعاصي والمحرَّمات، والرِّضا باختيارِ اللهِ للعبد.

ومن آدابِ الدُّعاءِ المُستحبَّةِ:

الطَّهارةُ، واستقبالُ القِبلة، ورفعُ اليدين، والبدءُ بالثناءِ على الله، ثمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتكرارُ الدُّعاءِ ثلاثًا، والإلحاحُ في المسألة، وحضورُ القلب، وحُسنُ الظنِّ بالله، واليقينُ بقدرتِه على الإجابة، وعدمُ الاستعجالِ بتركِ الدُّعاءِ.

ومن الآدابِ والوسائلِ:

التوسُّلُ بأسماءِ اللهِ الحُسنى، والدُّعاءُ بما يُناسبُ الحاجة؛ فيقول: يا رزَّاقُ ارزُقني، يا عليمُ علِّمْني، يا رحيمُ ارحمْني، يا ستِّيرُ استُرني، ونحوَ ذلك

ومن أنواعِ التوسُّلِ: التوسُّلُ بالحال؛ بأن يشكوَ العبدُ فقرَه وضعفَه وحاجتَه إلى رحمةِ ربِّه وفضلِه.

ومنها: التوسُّلُ بالعملِ الصالحِ السَّابق، وسيأتي بيانُ بعضِ هذه الآدابِ مُفصَّلًا بإذنِ الله.

(١٣) الثَّناءُ على اللهِ تعالى، والصَّلاةُ على النَّبيِّ ﷺ في أوَّلِ الدُّعاءِ وفي أثنائِه

وهذا أدبٌ رفيعٌ ينبغي للدَّاعي أن يحرصَ عليه، ويُستحبُّ أن يكون الثناءُ في أوَّلِ الدُّعاءِ وفي أثنائِه؛ فإنَّ الثناءَ على اللهِ من أسبابِ الإجابة.

ففي سننِ الترمذيِّ عن فَضالةَ بنِ عُبيدٍ رضي الله عنه قال: سَمِع رسولُ اللهِ ﷺ رجلًا يدعو في صلاتِه، لم يُمجِّدِ اللهَ تعالى، ولم يُصلِّ على النَّبيِّ ﷺ، فقال: «عَجِلَ هذا»، ثمَّ قال: «إذا صلَّى أحدُكم -أي دعا- فليبدأ بتمجيدِ ربِّه جلَّ وعزَّ، والثناءِ عليه، ثمَّ ليُصلِّ على النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ يدعو بعدُ بما شاء».

فأرشدَ النَّبيُّ ﷺ الدَّاعي إلى البدءِ بالثناءِ على اللهِ، والصَّلاةِ عليه ﷺ، ثمَّ سؤالِ حاجته، ومَن تأدَّب بهذا الأدب كان أحرى بإجابةِ دعائِه.

والثنــاءُ علــى اللهِ ممَّــا يُحبُّــه اللهُ مــن عبــاده، فقــد قــال ﷺ: «أمَا إنَّ ربَّكَ يُحبُّ الحمدَ». أخرجه الطبراني.

وهَدْيُ النَّبيِّ ﷺ في الدُّعاءِ البدءُ بالثناءِ على اللهِ في أوَّلِه، وشواهدُ هذا كثيرة، فمن ذلك ما جاء في ثنائه على ربِّهِ بقوله: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّـماوَاتِ وَرَبَّ الأَرضِ وَرَبَّ العَرشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَـيءٍ، فَالِـقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنزِلَ التَّورَاةِ وَالإِنجيلِ وَالفُرقانِ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ» رَواهُ مُسلِمٌ.

ومِثلُه قوله: «اللَّهُمَّ أَنتَ الأَوَّلُ فَلَيسَ قَبلَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الآخِرُ فَلَيسَ بَعدَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الباطِنُ فَلَيسَ دُونَكَ شَـيءٌ؛ اِقضِ عَنَّـا الدَّينَ، وَأَغنِنا مِنَ الفَقرِ» رَواهُ مُسلِمٌ.

ومِثلُه قوله: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسـلَمتُ، وَبِـكَ آمَنتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّـلتُ، وَإِلَيـكَ أَنَبتُ، وَبِـكَ خَاصَمتُ، اللَّهُـمَّ إِني أَعُوذُ

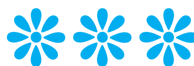
بِعِزَّتِـكَ، لا إِلَـهَ إِلاَّ أَنـتَ، أَن تُضِلَّنـي، أَنتَ الحَـيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنسُ يَمُوتُونَ» رَواهُ مُسلِمٌ.

وغيرُ ذلك ممَّا ثبت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي الثناءِ على اللهِ تزيد معرفةُ اللهِ في قلبِ عبده؛ فيرى ربًّا عظيمًا، كريمًـا، لطيفًا، قريبًا، مُجيبًا، وغيرَ ذلك من صفاتِ الكمال له.

وفيـه التوسُّـلُ بالافتقـار إلـى الله، والتقـرُّبُ إليـه بحبِّه وتعظيمِـه ومدحِـه بما هـو أهلُه، وكلُّهـا عبـاداتٌ وقُربات عظيمةُ الأثر.

وحقٌّ على مَن أكثرَ الثناءَ على اللهِ أن يجدَ حلاوةَ الإيمان، وأن يَعظُمَ قدرُ اللهِ في قلبِه، ومثلُه يُرجى له قبولُ الدُّعاءِ.



(١٤) إخفاءُ الدُّعاءِ

من آدابِ الدُّعاءِ التي ينبغي على الدَّاعي الحرصُ عليها: إخفاؤه والإسرارُ به.

فإخفاءُ الدُّعاءِ فيه من الإخلاص ما فيه، ولذا جاء مدحُه في كتابِ اللهِ تعالى، قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، فذكر هنا أدبَين من آدابِ الدُّعاءِ:

* الأوَّلُ: التضرُّعُ والاستكانةُ والتذلُّلُ.
* الثاني: أن يكون الدُّعاءُ سرًّا وخُفيةً.

وقد ذكر اللهُ حالَ عبدِه الصالحِ زكريَّا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند دعائه، وكيف كان دعاؤه خفيًّا، فقال تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم: ٣].

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنَّما أخفاه لأنَّه أحبُّ إلى الله).

وقـال بعضُ السَّـلف: (قام من الليـل، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد نام أصحابُـه، فجعل يَهتف بربِّه يقـول خُفيةً: يا ربِّ، يا ربِّ، يا ربِّ، فقال الله: لبَّيك، لبَّيك، لبَّيك).

قـال الحسـنُ البصـريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لقـد كان المسـلمون يجتهدون في الدُّعاءِ فلا يُسمَعُ لهم صوتٌ، إن هو إلَّا الهمسُ بينهم وبين ربِّهم).

وقال أيضًا: (بين دعوةِ السِّرِّ ودعوةِ العلانية سبعون ضعفًا).

۞ وفي الدُّعاءِ خُفيةً منافعُ ودلائل، منها:

* أنَّـه دليلٌ على قوَّةِ إيمـانِ العبد بصفاتِ الله تعالى؛ إذ يدعوه سرًّا لعلمِه بسماع الله له.

* أنَّ الدُّعاءَ خُفيةً أقربُ إلى الإخلاص؛ وربَّما سـبقت الدمعةُ الداعي حيـث لا يراه أحد، فاجتهد أن تكون لـك أوقاتٌ تخلو فيها بربِّك؛ فإنَّ إخفاءَ الدُّعاءِ على

الـدوام متعـذِّر؛ فأحيانًـا يدعـو الداعي بيـن الأذان والإقامة، أو في مجامع الناس.

* **أنَّـه أعظـمُ في الأدب والتعظيم؛** فإنَّ الملـوك لا تُرفَعُ الأصـواتُ عندهم، فكيف بملكِ الملوك سـبحانه؟ فالأدبُ معه أولى.

* **أنَّـه أبلـغُ في التضـرُّع والإنابة والخشـوع،** وهي لُبُّ الدُّعاءِ ومقصودُه.

* **أنَّه أبلغُ في جمعيَّة القلب وحضوره.**

* **أنَّه أحبُّ إلى الله.**

* **أنَّـه أدّعـى لـدوام الطَّلب؛** فـإنَّ اللسـان مـع الدُّعاءِ الخفـيِّ لا يمـلُّ، بخلاف رفع الصـوت الذي تتعب معه الجوارح.

فاعتـنِ بدعاءِ الخلوة، وتقرَّبْ إلـى ربِّك بالدُّعاءِ في هذا الحال.

(١٥) ادعُ اللهَ وأنتَ مُوقِنٌ بالإجابةِ

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «ادعوا اللهَ وأنتم مُوقِنون بالإجابة»

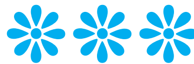
فإذا دعوتَ اللهَ، فلا تنظرْ إلى ضعفك وعجزك وقلَّة حيلتك، وإنَّما انظرْ إلى عظمةِ الله، وقدرتِه، ورحمتِه، وكرمِه؛ فاللهُ قويٌّ لا يُعجِزُه شيء، كريمٌ يعامل خلقَه بفضلِه، يقابل إساءةَ عبدِه بالإحسان، وإعراضَه بالعطاء.

واليقينُ التامُّ بقدرةِ الله على إجابةِ الدعوات من أعظم أسباب الإجابة.

وكم من داعٍ يدعو وهو في ظنونٍ تُضعِف رجاءَه: لا شكًّا في قدرةِ الله - فهذا كفرٌ - ولكن يظنُّ أنَّ الإجابة بعيدةٌ عنه، أو أنّها لا تحصل إلا بمعجزة، أو ينظر إلى الأسباب مجرَّدة؛ وكلُّها ظنونٌ سيِّئةٌ لا ينبغي أن تستقرَّ في النفس.

فكم من ضالٍّ غارقٍ في ضلالِه صار بعد الدُّعاءِ والصِّدقِ مـع الطَّلَبِ مـن الصالحين، بـل من المصلحيـن، وكم من شابٍّ سلك طريقَ العلم ولم يكن بارزًا فيه، فإذا به بعد مدَّةٍ يُشـار إليه بالبنـان، وكم من فقيرٍ لا يجد قـوت يومه أصبح غنيًّا؛ ومـا ذاك إلا بفضلِ الله، مع بذلِ الأسـبابِ، وكان من أعظمها صدقُ الدعاء وحُسنُ الظنِّ بالله.

فإذا دعـوتَ ربَّك، فادعُه وأنت مُوقِـنٌ بالإجابة، ممتلئُ القلـب ثقةً به، سـاكنُ النفس إلـى كرمِه، تعلـم أنَّه يعاملك بمـا هو أهلُـه ـ وهو أهلُ الفضلِ والإحسـانِ والكرم ـ؛ فمن كان هـذا حاله أخلص في الدعاء، وأحضر قلبه، ودعا بيقينٍ صادق، ورجاءٍ عظيم.



(١٦) العَزِيمَةُ عند السُّؤالِ

جاء في صحيحِ البخاريِّ من حديثِ أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إذا دعا أحدُكم فَلْيَعْزِمِ المسألةَ، ولا يَقُولَنَّ: اللهمَّ إنْ شئتَ فأعْطِني؛ فإنَّه لا مُسْتَكْرِهَ له**».

وجاء في صحيحِ مسلمٍ قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إذا دعا أحدُكم فلا يقل: اللهمَّ اغفِرْ لي إن شئتَ، وليعزمِ المسألةَ، وليُعَظِّمِ الرغبةَ؛ فإنَّ الله تعالى لا يَتَعاظَمُهشيءٌ أعطاه**».

فهذه توجيهاتٌ مباركةٌ من نبيِّ الأُمَّة صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **فيما ينبغي أن يكون عليه الداعي عند دعائه ربَّه**، وذلك أن يسألَه بقلبٍ صادق، ورغبةٍ كاملة، وافتقارٍ حقيقي إلى المطلوب، ويقينٍ من قبولِ دعائه، لا لمجرَّد أداءِ عبادةٍ بلسانٍ غافل، فاللهُ كريمٌ واسعُ الكرم، قديرٌ كاملُ القدرة، لا يُعجِزُه طلبٌ أن يُحقِّقَه، ولا مسألةٌ أن يُجيبَها.

وقوله ﷺ: «**فإنَّه لا مُستكْرِهَ له**» معناه: أنَّه لا أحدَ يُكرِهُ اللهَ على شيءٍ، ولا يُتصوَّر في حقِّه عجزٌ أو ممانعة.

قال الشيخ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أي: لا أحدَ يُكرِهُ اللهَ على شيءٍ حتى يُقال: إن شئتَ، وليس بعاجزٍ حتى يُقال: إن شئتَ، فلا يليقُ هذا بالله)**.

فادعُ ربَّك وهو يرى منك صدقَ الطَّلب، وقوَّةَ العزيمة، والرغبةَ الصادقة؛ فإذا سألتَه الهدايةَ فأظهِر افتقارَك الحقيقيَّ إليها، وحاجتَك الماسَّة لها، وإن كنتَ مُقصِّرًا، أو لا يزال في قلبك تعلُّقٌ بمعصية.

وإذا سألتَه العلمَ النافعَ فكن صادقًا في طلبه، عارفًا بفضلِه ومنزلتِه، مع بذل الأسباب التي توصِل إليه.

وإذا سألتَه رزقًا واسعًا فاستحضِر غناه وسعة جوده وقدرتَه على أن يُغنيك، وهكذا في جميع مطالبك: اسألْ ربَّك بعزمٍ ورغبةٍ صادقة؛ فإنَّ اللهَ لا يَتَعاظمُه شيءٌ، فهو القديرُ الكريم.

(١٧) لا تَستعجِلِ الإجابةَ فتتركَ الدُّعاءَ

جاء هذا الإرشادُ في قولِ النَّبيِّ ﷺ: «يُستجابُ لأحدِكم ما لم يَعْجَلْ، يقولُ: دعوتُ فلم يُستجَبْ لي»، رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

فهذا إخبارٌ وتوجيه: إخبارٌ بأنَّ الإجابة قريبةٌ من الداعي إذا أتى بشرطِها، وهو عدمُ العَجَلة، وتوجيهٌ بعدم ترك الدُّعاءِ لعدم رؤية إجابةٍ حاضرة.

وبعضُ الناس يدعو بدعواتٍ كثيرة، أو مدَّةً طويلة، فلا يرى إجابةً ظاهرة، فيضعف عن الدُّعاءِ: إمَّا يأسًا من الإجابة، أو لقلَّة صبره على تأخُّرها، أو لاعتقاده أنَّه قام بفعلٍ يستحقُّ معه الإجابة فلم يُستجَب له، فيترك الدُّعاء، وهذا الظنُّ الأخير فيه سوءُ أدبٍ مع الله تعالى.

أيُّها الداعي..

أنــت عبدٌ مأمور، وأمرك بيــدِ الله، وهو أعلمُ بما هو أنفعُ وأصلــحُ لك، وبما تســتحقُّ وما لا تســتحقُّ؛ فعليــك القيامُ بعبادة الدُّعاءِ كما أمرك الله، والرِّضا بما يُقدِّره لك من إجابةٍ أو تأخير، والمؤمن موقنٌ أنَّ الله أكرمُ الأكرمين، وأنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، لا يعجزه طلبٌ أن يُجيبه، ولا مسألةٌ أن يُحقِّقها، يــده تفيض بالعطاء، ولا يمنع عن عبدٍ عطيةً إلا لحكمة؛ فلا يظنُّ بربِّه إلا خيرًا، ولا يترك الدُّعاء لتأخُّر الإجابة.

وإذا تأمَّلتَ الماضــي والحاضر وجدتَ مطالبَ دعوتَ بهــا طويلًا ثم جاءت علــى أكمل ما يكــون، وربَّما دعوتَ بدعــواتٍ فمنعها الله عنك ثم حمدتَه بعد زمنٍ على حســن اختيــاره، وأيقنتَ أنَّ ما اختاره لــك كان أنفعَ من اختيارك؛ فالــزمِ الدُّعاء، ولا تســتعجلِ الإجابة؛ فإنَّ اســتعجالها مُؤدٍّ إلى ترك الدعاءِ، وفي ذلك من الخسارة ما فيه.

(١٨) تَكْرارُ الدُّعاءِ ثَلاثًا

ثبَتَ عنِ النَّبيِّ ﷺ استحبابُ تكرارِ الدُّعاءِ ثلاثًا؛ ففي حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**كان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا**». رواه مسلم، وأصلُه في البخاري.

وروى الإمامُ أحمدُ في المسند عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**كان رسولُ اللهِ ﷺ يُعجِبُه أن يدعو ثلاثًا ويستغفرَ ثلاثًا**». وصحَّحه الشيخُ أحمدُ شاكر في تحقيقِ المسند.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: **(فيه استحبابُ تكريرِ الدُّعاءِ ثلاثًا).**

[شرح مسلم: ١٢/ ١٥٢]

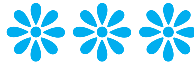
وقال الشيخُ ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ اللهُ: **(تكرارُ الدُّعاءِ أمرٌ مطلوب، وكلَّما كرَّر الإنسانُ الدُّعاءَ كان ذلك أفضل، وقد كان من هديِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه إذا دعا دعا ثلاثًا، وهذا في غالبِ الأحوال).** نور على الدرب.

وللدَّاعـي أن يُكرِّر أكثرَ من ثـلاثٍ أحيانًا؛ فقد ثبَتَ عنه ﷺ أنَّه دعا مرَّةً خمسَ مرّات، وذلك حين دعا بالبركةِ لقبيلةِ أحمس، كما في حديثِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**بَـرَّكَ النَّبيُّ ﷺ على خيلِ أحمـسَ ورجالِها خمسَ مرّات**». رواه البخاري ومسلم.

وكذلـك ورد تكـرارُ الدُّعـاءِ سـبعَ مـرّات في أكثـرَ من حديث، منها ما جاء عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـولُ اللهِ ﷺ: «**ما اسـتجار عبدٌ من النَّار سبعَ مرّاتٍ في يومٍ إلّا قالـتِ النَّـار: يا ربِّ، إنَّ عبـدَكَ فلانًا قد اسـتجارك منّي فأجِرْه، ولا يسـألُ اللهَ عبدٌ الجنَّةَ سبعَ مرّاتٍ في يومٍ إلّا قالتِ الجنَّـة: يا ربِّ، إنَّ عبدَكَ فلانًا سـألني فأدخِلْه**». رواه أبو يعلى، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فالحاصـلُ: أنَّ السُّـنَّةَ في تكـرارِ الدُّعـاءِ أن يكون ثلاثَ مرّات، ومن زاد على ذلك أحيانًا فلا حرجَ عليه، كما أنَّ من اقتصـر على الدُّعـاءِ مرَّةً واحدةً فلا حرجَ عليـه؛ إذ قد ثبَتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعُ ذلك.

فتمسَّـك بهذا الهدي، وكرِّر دعاءَك بحسـب ما يقوم في قلبِك من حضورٍ وخشـوع، ويَلحقُ بتكرارِ الدُّعاءِ الإلحاحُ فيه.



(١٩) الإِلْحَاحُ في الدُّعَاء

الإِلْحَاحُ أدبٌ عظيمٌ من آدابِ الدُّعَاءِ النبويَّة، وسببٌ من أسبابِ الإِجابة، وقد كان ظاهرًا في دعواتِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا سيَّما في أوقاتِ الشدائدِ والمِحَن، ففي سننِ أبي داود من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، في قصَّةِ كُسوفِ الشَّمس، وفيه: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفخ في آخرِ سجوده وقال: «**أُفْ أُفْ**»، ثم قال: «**ربِّ، ألم تَعِدْني ألَّا تُعذِّبَهم وأنا فيهم؟ ألم تَعِدْني ألَّا تُعذِّبَهم وهم يستغفرون؟**»، فانظُر إلى خُشوعِه وتذلُّلِه لمولاه، وكيف كان يُلحُّ في دعائه ويستغيثُ به، مستجلبًا العفوَ والمغفرةَ منه.

وفي سننِ الترمذي من حديثِ عمرَ بنِ الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في وصفِ إلحاحِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ بدر، قال: (**فما زال يهتفُ بربِّه، مادًّا يديه، مُستقبِلَ القِبلة، حتى سقطَ رداؤه عن منكبيه...**)، فهكذا كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

كثيرَ الإلحاحِ في دعائه، شـديدَ المناشـدةِ لربِّه، ولا سيَّما في المحنِ والنوازل.

والإِلْحَاحُ لا يكونُ إلّا على الله وحده؛ قال سفيانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الإلحاحُ لا يصلحُ ولا يَجملُ إلّا على اللهِ عَزَّوَجَلَّ).**

وقال الإمامُ ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إنَّ اللهَ يُحبُّ أن يُسألَ، ولذلك أمر عبادَه أن يسـألوه من فضلِه، ولا يصلحُ الإلحاحُ إلّا على الله).**

أمّا الإلحاحُ على المخلوق ذُلٌّ للنَّفس، وسـوءُ أدبٍ مع الله، وتعلُّقٌ بغيره، وفيه من الذمِّ ما فيه.

وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحِ قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسـتجابُ لأحدِكم ما لـم يَعجَل...**»: (في هـذا الحديثِ أدبٌ مـن آدابِ الدعاءِ، وهو ملازمـةُ الطَّلب، وعدمُ اليأسِ من الإجابة؛ لما في ذلك من الانقيادِ والاستسـلام، وإظهارِ الافتقار).

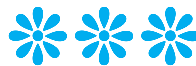
وقـال الأوزاعـيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان يُقـال: أفضـلُ الدعـاءِ الإلحاحُ على الله، والتضرُّعُ إليه).

والإلحـاحُ في الدعاءِ ممَّـا يُحبُّه الله ويرضـاه، وليس فيه اعتــراضٌ على القدر، بل هو إصرارٌ على بلوغِ المراد ضمنَ الأسبابِ المشروعة، والدعاءُ من أعظمِ هذه الأسباب، وهو من قضاءِ الله وقدرِه، وعلامةُ العبوديَّة، وأمارةُ الإيمان.

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن أنفعِ الأدويةِ الإلحاحُ في الدعاءِ).

فاتَّبع هذا النهج في دعائك، ولا سيَّما في خلواتِك، وأظهِر فقرك وحاجتَك إلى ربِّك، واعترف بضعفك وعجزك، وأنَّه لولا فضلُه لكنتَ لا شـيء، وأنَّه إن تخلَّى عنك وُكِلتَ إلى الضَّعفِ والوَهَن.

فاللهمَّ أنزلنـا حاجاتِنا بك، وأظهِرنا فقرَنا إليك، فأغِثْنا، وأنزل علينا رحمتَك.



(٣)

فقه عبادة الدعاء (٢٠-٣٩)

٢٠. الدُّعاءُ والقَدَرُ.

٢١. إيّاكَ والاعتداءَ في الدُّعاءِ.

٢٢. الدُّعاءُ قبلَ نُزولِ البلاءِ.

٢٣. الإكثارُ من الدُّعاءِ حالَ الرَّخاءِ.

٢٤. الإكثارُ من النَّوافِلِ من أسبابِ إجابةِ الدُّعاءِ.

٢٥. الأمـرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عـن المُنكَرِ وأثرُه في إجابةِ الدُّعاءِ.

٢٦. الدُّعاءُ والتوكُّلُ على اللهِ، وعدمُ الرُّكونِ إلى الأسبابِ الظَّاهرةِ.

٢٧. لا تجعلْ بينكَ وبينَ قبولِ دعائِكَ حِجابًا ولا مانعًا.

٢٨. لا تدعُ على نفسِكَ، ولا ولدِكَ، ولا مالِكَ، ونحوِ ذلك.

٢٩. عملُكَ الصَّالحُ والتوسُّلُ به عندَ الدُّعاءِ.

٣٠. التوسُّلُ إلى اللهِ بالعبوديَّةِ.

٣١. التوسُّلُ إلى اللهِ بالإيمانِ عندَ الدُّعاءِ.

٣٢. زِدْ في الدُّعاءِ؛ فإنَّ ربَّكَ يُحبُّ منك هذا.

٣٣. عُلُوُّ الهِمَّةِ في الدُّعاءِ.

٣٤. لا تستعظِمْ طلبًا أن تسألَهُ ربَّكَ.

٣٥. بابُ الدُّعاءِ مفتوحٌ، ولا تدري متى تُجابُ دعوتُكَ.

٣٦. استحضارُ المعانيَ عندَ الدُّعاءِ.

٣٧. اسألْ ربَّكَ كلَّ شيءٍ.

٣٨. دعواتُ الكتابِ والسُّنَّةِ جوامعُ لا مثيلَ لها.

٣٩. البَسْطُ في المطالبِ ممّا يُندَبُ إليه في الدُّعاءِ.

(٢٠) الدُّعاءُ والقَدَرُ

قضى اللهُ أن تكونَ الحياةُ مَليئةً بالابتلاءاتِ والمصائبِ، كما هي مَليئةٌ بالأفراحِ والآمالِ؛ فقد يُقدِّرُ اللهُ على العبدِ ألمًا أو مصيبةً، ثم يجعلُ الدُّعاءَ سببًا لدفعِها أو رفعِها، وهذه من ثمراتِ الدُّعاءِ العاجلةِ التي يجهلُها كثيرٌ من النّاس.

قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يَرُدُّ القَدَرَ إلَّا الدُّعاءُ**». رواه أحمدُ وغيره، وحسَّنه الألبانيُّ.

قال الشوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فيه دليلٌ على أنَّه سبحانه يَدفعُ بالدُّعاءِ ما قد قضاه على العبد، وقد وردتْ بذلك أحاديثُ كثيرة**).

وقال أيضًا: (**والحاصلُ أنَّ الدُّعاءَ من قَدَرِ الله؛ فقد يقضي على عبدِه قضاءً مُقيَّدًا بألَّا يدعوه، فإذا دعاه اندفعَ عنه**).

وقد ظهر هذا المعنى جليًّا في هدي النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ كان يُداوم على أدعيةِ الحفظِ والعافيةِ صباحًا ومساءً، ومن ذلك قولُه: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألُك العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ اللَّهمَّ أسألُك العفوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ وأهلي ومالي اللَّهمَّ استر عورتي** -وقالَ عثمانُ عوراتي- **وآمِن رَوعاتي اللَّهمَّ احفظني من بينِ يديَّ ومن خَلفي وعن يَميني وعَن شِمالي ومن فَوقي وأعوذُ بعظَمتِك أن اغتالَ من تحتي**» رواه أبو داود وغيره.

وهو سؤالٌ للسَّلامةِ قبلَ نزولِ المكروهات، ودفعٌ للأقدارِ المؤلمةِ بالدُّعاءِ.

وكذلك كان يقولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من زوالِ نعمتِكَ، وتحوُّلِ عافيتِكَ، وفُجاءةِ نقمتِكَ، وجميعِ سخطِكَ**». رواه مسلم.

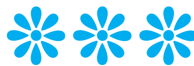
وهي تعويذاتٌ جامعةٌ قبلَ وقوعِ الشدائد.

وقال ﷺ: «الدُّعاءُ ينفعُ ممَّا نزل، وممَّا لم ينزل؛ فعليكم عبادَ اللهِ بالدُّعاءِ». رواه أحمدُ والترمذيُّ، وحسَّنه الألبانيُّ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والدُّعاءُ من أنفعِ الأدويةِ، وهو عدوُّ البلاءِ؛ يُدافِعُه ويُعالِجُه، ويمنعُ نزولَه، ويرفعُه أو يُخفِّفُه إذا نزل).

فالدُّعاءُ من أعظم الأسبابِ في دفعِ الشُّرورِ، وجلب الخيرات؛ تُصرَفُ به أمراضٌ وفتنٌ، وتُستجلَبُ به أرزاقٌ وعافيةٌ؛ لأنَّ اللهَ قدَّر النتائجَ بأسبابِها، ومن أعظمِ هذه الأسبابِ الدُّعاء.

ومن فقهِ هذه المسألة: داوم الالتجاءِ إلى الله، ولم يترك الدُّعاءِ اتِّكالًا على الأقدارِ السَّابقة؛ فإنَّ الدُّعاءَ نفسَه من القَدَر، وهو بابٌ من أبوابِ العبوديَّة، وسببٌ من أسبابِ الخير.



(٢١) إيّاكَ والاعتداءَ في الدُّعاءِ

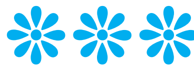
من الأخطاء البيّنة في باب الدُّعاءِ: الاعتداءُ فيه، وهو سؤالُ ما لا يَصِحُّ شرعًا، أو ما لا يمكنُ وقوعُه قدرًا؛ كأن يسألَ العبدُ ربَه أن يجعله نبيًّا، أو يطلبَ إعادةَ ما يستحيلُ عودتُه كسؤال عودة ميّت، أو يسألَ خَلْقَ عضوٍ لم يكن موجودًا أصلًا، فهذه أمورٌ قد جرى بها قضاءُ الله ألا تكونُ أبدًا، فيجبُ فيها الأدبُ مع الله تعالى.

ومن الاعتداءِ في الدُّعاءِ: التوسُّلُ غيرُ المشروع، كدعاءِ الميِّتِ أو الغائب، وهذا من الشِّرك الأكبر المُخرج من الملّة؛ لأنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ لا تُصرفُ إلّا لله وحده.

ومن الاعتداءِ أيضًا: الدُّعاءُ على الغير بغيرِ حقٍّ؛ كأن يدعوَ على إنسانٍ بالهلاكِ أو بذهابِ بصرِه أو مالِه من غيرِ ظلمٍ صدر منه، فهذا عدوانٌ وظلمٌ لا يليقُ بالمؤمن.

ومنه كذلك: رفعُ الصوتِ في مواضعَ لا يُشرَعُ فيها رفعُه، كرفعِ الصوتِ في السجودِ أو داخلِ الصلاةِ عمومًا؛ فإنَّ هذا منافٍ للأدبِ المشروع.

فالأدبُ في الدُّعاءِ، والبعدُ عن الاعتداءِ فيه، من أعظمِ ما ينبغي أن يتخلَّق به الداعي؛ لأنَّ المقامَ مقامُ عبوديَّةٍ وخضوعٍ وتذلُّل، لا مقامُ تجاوزٍ وتعدٍّ.



(٢٢) الدُّعاءُ قبلَ نُزولِ البلاءِ

مـن فِقهِ الدُّعـاءِ، وممّا يقـع فيـه التَّقصيرُ كثيـرًا: الدُّعاءُ بالسَّلامةِ من البلاءِ قبلَ نُزولِه؛ فإنَّ العبدَ كثيرًا ما يُقبِلُ على ربِّه إذا نزلت به المصيبة، ويغفل عن سؤاله العافيةَ قبل وقوعها.

وقد قضى اللهُ أنَّ هذه الحياةَ دارُ ابتلاء، كما هي دارُ نِعَم؛ فلا يكادُ أحدٌ يسـلمُ مـن مرضٍ، أو ضيـقِ رزقٍ، أو همٍّ، أو فتنةٍ في دينه أو دنياه، ومع ذلك فإنَّ كثيرًا من الناس لا يسألُ ربَّه الحفظَ والعافيـة، ولا يدعوه بدفع المكروهات، إلّا إذا نزل البلاءُ وحلَّت المصيبة.

وهـذا خلافُ هـدي النبـيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فإنَّـه كان يُكثر من سـؤالِ العافية، ويعلِّم أُمَّتَه ذلك، ومن دعائه المشـهور: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرة...**» -وقد تقدّم قبل قليل-، وهو سـؤالٌ للسلامة قبل نزولِ المكروه، ودفعٌ للأقدار المؤلمة بالدُّعاء.

وكذلك كان يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من زوالِ نعمتِكَ، وتحوُّلِ عافيتِكَ، وفُجاءةِ نقمتِكَ، وجميعِ سخطِكَ». رواه مسلم

وفيها طلبُ السلامةِ من زوالِ النِّعَم، وسؤالُ العافيةِ من كلِّ مكروه.

وقد أصبحنا في زمانٍ كثرت فيه الفتن، وانتشرت فيه الأمراض، وتتابعت فيه المصائب على الناس أفرادًا وجماعات؛ فمِنهم من يُبتلى في صحته، ومنهم من يُضيَّق عليه في رزقه، ومنهم من يُصاب في أهله أو ولده أو دينه، ولا ملجأَ من ذلك كلِّه إلّا إلى الله.

فحريٌّ بالعبدِ العاقل أن يُكثِر من دعاءِ السَّلامة، وأن يسأل ربَّه الحفظَ والعافيةَ قبل نزول البلاء؛ فإنَّ هذا من كمال فقهه بأمرِ ربِّهِ، ومعرفته بسُننه في عباده.

فاسألِ اللهَ العافيةَ دائمًا، قبل البلاءِ وبعده، واعلم أنَّ من وُفِّقَ لسؤالِ السَّلامة فَسيَندَفعُ عنه شرٌّ كثيرٌ.

(٢٣) الإكثارُ من الدُّعاءِ وقتَ الرَّخاءِ

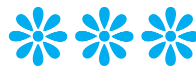
وهذا كسابقه أصلٌ عظيمٌ في فقهِ الدُّعاءِ؛ فحياةُ الإنسانِ بين السَّعةِ والشِّدَّة، وبين العافيةِ والابتلاء، وكثيرًا ما يقعُ التقصيرُ والغفلةُ من بعضِ المسلمين في شأنِ الدُّعاءِ حالَ رخائِهم ووقتَ سعتِهم، فيُهمِلون هذه العبادةَ في أكثرِ أوقاتِهم.

فإذا نزل بهم كربٌ، أو حلَّت بهم مصيبةٌ، دعوا ربَّهم دُعاءَ المضطرِّين، ونادوه نداءَ المستغيثين، ومثلُ هؤلاء قد يُحرَمون كمالَ الإجابة وزوالَ الضائقة، بسبب بُعدِهم عن الدُّعاءِ في حالِ رخائِهم، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن سرَّه أن يستجيبَ اللهُ له عندَ الشدائدِ والكُرَب، فليُكثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخاءِ». رواه الترمذي.

ومع أنَّ اللهَ كريمٌ لطيفٌ بعباده، يستجيبُ دُعاءَ المضطرِّ ولو كان مُعرِضًا مُهمِلًا، إلَّا أنَّ العنايةَ بالإكثارِ من الدُّعاءِ على الدوام، ولا سيَّما في وقتِ الرَّخاءِ، سببٌ عظيمٌ لنيلِ هذا الوعدِ النبويِّ.

وقال أبو الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ادعُ اللهَ في يومِ سرَّائِك؛ لعلَّه يستجيبُ لك في يومِ ضرَّائِك).

فتنبَّه لهذا المعنى، واعتنِ بهذا الشأن، واجعلِ الدُّعاءَ لك ديدنًا لا ينقطعُ في جميعِ أحوالِك.



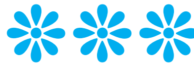
(٢٤) الإِكْثَارُ مِنْ نَوَافِلِ العِبَادَاتِ مِنْ أَسْبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ

وهذا ظاهرٌ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كما في صحيح البخـاري، قال: قال رسـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قال اللهُ تعالى: «مَن عادَى لي وَلِيًّا فقد آذَنْتُهُ بالحربِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويدَهُ التي يبطشُ بها، ورجلَهُ التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطِيَنَّهُ، ولَئِنِ استعاذني لأُعِيذَنَّهُ».

فالمؤمـنُ التقيُّ حريـصٌ على الإكثارِ مـن النوافل، من صـلاةٍ، وصيـامٍ، وصدقـةٍ، وتـلاوةٍ، وذِكـرٍ، ونحوِهـا ممّا يتقـرَّبُ بـه إلى ربِّه؛ فإذا أكثـرَ من هذه العبـادات، كافأه اللهُ بإجابةِ دعائِه، وتحقيقِ مطالبِه، وسـماعِ سُؤالِه، وهذا ظاهرٌ في قوله: «وإن سألني لأُعطِيَنَّهُ»

فـالله مُحسِـنٌ إلى عبـدِه الصالـح، يُكرمُـه في الدُّنيا قبلَ الـورودِ على الآخـرة، ويخصُّه بلطفِه ومعونتِه، بحسـب ما قام في قلبِه من عبوديّةٍ وقُرب.

والمُكثِرُ مـن النوافل ينالُ محبَّـةَ الله، ويفوزُ بثوابِ هذه الأعمال، وهو أقربُ من غيرِه إلى إجابةِ سُـؤالِه، فتراه كثيرَ الدعـاءِ في عباداتِـه، قـويَّ الصِّلةِ بربِّـه؛ بخلافِ مَـن يُهمِلُ النوافلَ، ولا يُلقي لها بالًا.



(٢٥) الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ وأثرُه في إجابةِ الدُّعاءِ

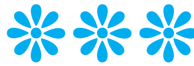
جاء في حديثِ حذيفةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ». رواه الترمذي.

فالأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ شأنُه عظيم، حتى جعل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التفريطَ فيه سببًا من أسباب حرمانِ الأمَّة من إجابةِ دعائِها، وكشفِ الضُّرِّ عنها، وهذا أمرٌ ليس بالهيِّن.

فالأمَّةُ تحلُّ بها النكبات، وتُصيبُها المِحن، ولا ملجأَ لها إلَّا الله، ولا كاشفَ لكربِها سواه، فإذا نزلت بها المصائبُ وسألت ربَّها كشفَها، ثم لم تُستجب دعوتُها، كان ذلك من أشدِّ العقوبات، وأعظمِ وجوه التحذير.

فحـريٌّ بأفـرادِ الأمَّة ألَّا يُفرِّطوا في هذه الشـعيرة، وعلى أهـلِ الفضل منهـم أن يحثُّوا الناسَ عليهـا، ويُبيِّنوا عواقبَ التفريطِ فيها.

وأمَّا إذا قام المسـلمُ بهذه الشـعيرة، فإنَّ اللهَ يكشف عنه كربتَه في خاصَّة نفسِـه، ويسـتجيب دعاءَه، ويَسلَم من الإثمِ والتبِعة، بل لعلَّ قيامَه بها يكون سببًا في رفعِ البلاءِ العامِّ عن الأمَّة، فيعود أثرُها الحسنُ على الفردِ والجماعةِ جميعًا.



(٢٦) الدُّعاءُ والتوكُّلُ على اللهِ، وعدمُ الرُّكونِ إلى الأسبابِ الظاهرة

التوكُّلُ على الله من أعظم ما أُمِرَ به العبدُ، وحقيقتُه: تعلُّقُ القلبِ بالله، مع عدمِ الالتفاتِ إلى الأسبابِ اعتمادًا واتِّكالًا.

وكثيرًا ما يقع منَّا النظرُ إلى الأسبابِ الظاهرة، والاعتمادُ عليها، والظنُّ أنَّه متى توفَّرت وتيسَّرت تيسَّرت معها المطالب، فإذا بالأمورِ تتعكَّر، والمقاصدِ لا تتم، والآمالِ تتبخَّر؛ بسبب الرُّكونِ القلبيِّ إلى الأسباب، والاطمئنانِ إليها.

فلذا كان الواجبُ على العبدِ ألَّا يركنَ إلى الأسباب، ولا يتعلَّقَ بالمخلوقين، بل يُكثِرَ من دعاءِ ربِّه، وقلبُه معلَّقٌ به وحده؛ فإنَّ اللهَ يُعطي بسبب، وبغير سبب، وبما يُخالِف الأسباب، لأنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، وهو خالقُ السببِ والأثرِ جميعًا.

وقد يمنع اللهُ عن العبدِ بعضَ الأمورِ التي كان يظنُّ حصولَها متعيِّنًا، تأديبًا له؛ لئلَّا يركنَ إلى الأسباب، ولا يغفلَ عن مسببِها، فيتعلَّم صدقَ التعلُّق بالله، وكمالَ التفويضِ إليه.

ولا يعني هذا تركَ الأخذِ بالأسباب؛ فإنَّ الأخذَ بها مأمورٌ به شرعًا، ومقدَّرٌ كونًا، وإنَّما المقصودُ ألَّا يتعلَّقَ القلبُ بها، ولا يطمئنَّ إليها، بل يجعلُها وسيلةً، ويجعلُ الاعتمادَ كلَّه على الله وحده.

وصدقُ التوكُّلِ على الله من أشدِّ ما نحتاجُه في هذا الزمان، لكثرةِ التفاتِ القلوبِ إلى الأسباب، وتعظيمِ شأنها في النفوس.

ومن كان كثيرَ الدُّعاءِ، صادقًا فيه، جامعَ القلبِ على الله، كان تعلُّقُه بربِّه أعظم، وتجرُّدُه من الأسباب أظهر، وهذا وجهٌ من وجوه فضلِ كثرةِ الدُّعاءِ، قد يغيبُ عن كثيرٍ من الناس، فتنبَّه له.

(٢٧) لا تجعلْ بينكَ وبينَ قبولِ دعائِكَ حجابًا ولا مانعًا

مع سَعَةِ كرمِ اللهِ تعالى، وعظيمِ وعدِه بالإجابةِ للسائلين، إلّا أنّ هناك أسبابًا تحجُبُ قبولَ الدُّعاءِ، ومن أشدِّها وأخطرِها: أكلُ المالِ الحرام، ففي حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرَ الرجلَ يُطيلُ السَّفرَ، أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يديه إلى السَّماءِ: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرام، ومشربُه حرام، وملبسُه حرام، وغُذِّيَ بالحرام، فقال: «فأنَّى يُستجابُ لذلك؟!». رواه مسلم.

وفي حديثِ سعدِ بنِ أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا سعدُ، أَطِبْ مطعمَكَ تكُنْ مستجابَ الدَّعوة». رواه الطبراني.

فينبغي للعبدِ أن يتحرَّى الحلالَ في كسبِه، ويجتهدَ في البُعدِ عن الشُّبهات، رجاءَ أن يكون دعاؤه أقربَ إلى القبول.

ومن موانعِ إجابـةِ الدُّعاءِ: التقصيرُ في الواجبات، وعلى رأسِها الفرائض؛ فإنَّ المحافظةَ عليها دليلُ صدقِ الإيمان، ومن حفظ حدودَ الله كان أرجى للإجابة، وأقرب إلى توفيق الرحمن.

ومن موانعها كذلك: الذنوبُ والمعاصي؛ فكم حرمت أصحابَها من الخيرات، وكم حالت بينهم وبين إجابة الدُّعاء.

وكلَّما ابتعـدَ العبدُ عن الذنوبِ، وأكثرَ من الاسـتغفارِ، رقَّ قلبُه، وقَرُب دعاؤه من القبول، وإن لم يرَ أثرًا عاجلًا، فلعلَّه دُفِعَ عنه من الشرور أضعافُ ما سأل.

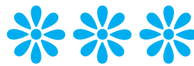
ومن أعظم الموانعِ: سوءُ الظنِّ بالله؛ وقد قال النبيُّ ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**». رواه الترمذي.

فلا بُدَّ للداعي من يقينٍ بسَعةِ فضلِ الله، وكمالِ قدرتِه، وحُسنِ عطائِه.

ومـن موانعِ الإجابةِ: غفلةُ القلبِ عنـد الدُّعاءِ؛ فقد قال رسـولُ اللهِ ﷺ: «**واعلموا أنَّ اللهَ لا يسـتجيبُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ**».

فكم يدعو العبدُ بلسانِه، وقلبُه ساهٍ غائب، فأنَّى يُرجى له القبول؟

فهذه جملةٌ من الموانع التي قد تحولُ دون قبولِ الدُّعاءِ؛ فـاللهَ اللهَ في تحصيـلِ أسـبابِ الإجابـة، والحذرِ مـن كلِّ ما يحجب الدعاءَ عن القبول.



(٢٨) لا تَدعُ على نفسِك أو ولدِك أو مالِكَ ونحوَ ذلك

جاء في حديثِ جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تَدْعوا على أنفُسِكم، ولا تَدْعوا على أولادِكم، ولا تَدْعوا على خَدَمِكم، ولا تَدْعوا على أموالِكم، لا تُوافِقوا من اللهِ ساعةَ نَيْلٍ فيها عطاءٌ فيُستجابَ لكم». رواه مسلم.

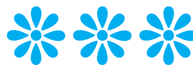
فالنبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه اللهُ رحمةً للعالمين، ولكمالِ نصحِه لأمَّته نهاهم أن يدعوَ أحدُهم على نفسِه أو ولدِه أو مالِه، وعلَّل ذلك بأنَّ هذا الدعاءَ قد يُصادِفُ ساعةَ إجابة، فيندمُ حينها، وتبقى الحسرةُ في نفسِه زمنًا طويلًا.

وكم سُمِعَ من أخبارٍ في هذا الباب عن والدٍ أو والدةٍ دعوا على ولدِهم، فاستُجيب لهم، فكان ندمُهم شديدًا.

ودعاءُ المرءِ على نفسِه أو على ولدِه أو مالِه دليلُ ضيقِ نفسٍ، وقِلَّةِ صبرٍ، وهو خُلُقٌ مذموم؛ فاللهُ أمرَ بالصبرِ، وحثَّ عليه، وهذا الداعي قد أعرض عن تلقِّي الأقدارِ المؤلمة بالصبرِ والرضا.

وكذلك الدعاءُ بتعجيلِ العذابِ دليلُ سَفَهِ العقل، وسلوكِ طريقِ العَجَلةِ المذمومة، وهو مخالفٌ للهديِّ النبويِّ، فقد جاء في حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاد رجلًا من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثلَ الفَرْخ، فقال له: «هل كنتَ تدعو بشيءٍ؟»، قال: نعم، كنتُ أقول: اللهمَّ ما كنتَ معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبحانَ اللهِ! لا تُطيقُه... أفلا قلتَ: اللهمَّ آتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقِنا عذابَ النار»، قال: فدعا اللهَ له فشفاه.

فالدعاءُ بتعجيلِ العقوبة لا يطيقُه أحد، وطلبُ العافية أولى، وسؤالُ السلامة أرجى؛ فاللهُ أرحمُ الراحمين، وعافيتُه أوسعُ من ذنوبِ العباد، ومغفرتُه تعمُّها جميعًا، فطلبُ السلامة ديدنُ المؤمن العاقل، وسؤالُ العافية هديُ المتقي الفطن.



(٢٩) عَمَلُكَ الصَّالِحُ وَالتَّوَسُّلُ بِهِ عِندَ الدُّعَاءِ

تَنزِلُ بالمرءِ مُصيبَةٌ، وتَحِلُّ به فِتنةٌ، فيَعلَمُ يَقينًا أن لا مَلجأَ لـه إلَّا اللهُ – ونِعْـمَ المَلجأُ هو –، فيَدعوه ويَدعـوه، ويَبتَهِلُ إليه، ولعلَّه في تلك اللَّحظةِ يَبحثُ عن عَمَلٍ صالحٍ يَتوسَّـلُ بـه إلى ربِّه، فرُبَّما يَسـقُطُ في يَـدِه، ويرى أنَّه فقيـرٌ من عملٍ صالـحٍ يَرجو بِرَّه، ويَجني ثَمَرَتَه وحُسـنَ عاقبتِه، ويا لها من خَسارةٍ وخَيبَةٍ، ويا لَوَحشةَ صاحِبِها حينئذٍ.

يا عبدَ اللهِ... ويا أَمَةَ اللهِ...

إنَّ مِن ثمراتِ العملِ الصالحِ نَفعَه لصاحبه في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ، فحَرِيٌّ بنا أن نَجتهدَ في ادِّخارِ عملٍ صالحٍ نَرجو بِرَّه وثَمَرَتَه في الدُّنيا والآخرةِ.

فهل يَملِكُ أحدُنا هذا العملَ لِيَتوسَّلَ به إلى ربِّه إذا نَزَلتْ به نازلةٌ، أو حَلَّ به كَربٌ؟

هل له رصيدٌ من بِرٍّ بالوالدَين يَتوسَّلُ به إلى ربِّه؟

أم هل له خَبيئةٌ من عملٍ صالحٍ يَرجو ربَّه بها عند مسألتِه؟

أو صدقةٌ وإحسانٌ خَفيٌّ لا يَعلَمُ به إلَّا الله؟

هل عَفَّ عن فاحشةٍ، حتى إذا ما نَزلتْ به مُصيبةٌ تَوسَّلَ بهذا العملِ عند دُعائِه؟

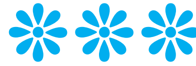
هل أَعانَ مَكروبًا، أو سَترَ مُذنِبًا، أو تَجاوَزَ عن مُسيءٍ، فاحتسبَ هذا العملَ لِيَنفَعَه أحوجَ ما يكونُ إليه؟

هل صَبَرَ على ظُلم، وقابَلَ إساءةً بإحسانٍ، أو تَنازَلَ عن حقٍّ ظاهرٍ له لمصالحَ أَعلى؛ خوفَ قَطيعةِ رَحِمٍ، أو حُلولِ فِتنةٍ، فيَتوسَّلَ به إلى ربِّه عند دُعائِه؟

وهل بين جَنبَيه قلبٌ يُحبُّ اللهَ ورسولَه، حتى إذا ما نَزلتْ به شِدَّةٌ سألَ ربَّه بهذا الحُبِّ، وناداه: (رَبِّ، بحُبِّي لك، وحُبِّي لنبيِّك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن تَرحمني، وتَغفِرَ لي، وتَقضيَ لي حاجتي).

إنَّ ادِّخارَ مثلِ هذه الأعمالِ، والتوسُّلَ بها، أنفعُ ما يكونُ للعبدِ عند دُعائِه، ويومَ لقائِه ربَّه.

ومِن أنواعِ التوسُّلِ المشروعِ: التوسُّلُ إلى اللهِ بالعبوديَّة.



(٣٠) التوسُّلُ إلى اللهِ بالعبوديَّةِ

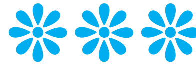
مِمَّا ينبغي عليك العنايةُ به - أيُّها الداعي -: التوسُّلُ إلى اللهِ بالعبوديَّـةِ له؛ بأن تُظهِرَ له أنَّك عبدُه وهو سـيِّدُك، فأنت العبدُ الذي يجبُ عليه طاعةُ مولاه، والعملُ بما أمره، سواءً وافق مرادَك وهواك أو خالفه، وأنت العبدُ المستجيبُ لربِّك، المتَّبعُ لأوامره، العاملُ بها، سواءٌ ظهرت لك الحكمةُ أم لم تظهر.

فالتوسُّـلُ بالعبوديَّةِ الصادقةِ لله من أنفعِ أنواع التوسُّـل، ومن أقربِ أسبابِ الإجابة؛ فاللهُ ما خلق الخَلقَ إلَّا ليُحقِّقوا له هذه العبوديَّة، والدعاءُ من أعظمِ أسبابها، وأقربِ سُبُلها، والتوسُّلُ إلى اللهِ بالعبوديَّةِ وسيلةٌ عُظمى في إجابةِ الدعاءِ.

فحريٌّ بالسائلِ أن يتوسَّلَ إلى ربِّه بها، ويسألَه بها، فيناديه: (يـا ربِّ، أنا العبـدُ الذليـلُ، الخاضعُ بين يديـك، المُؤتمرُ بأمـرك، المنتهي عـن نهيك، الطائعُ لك علـى كلِّ الأحوالِ

قــدرَ طاعتــي؛ فاغفر لــي، وارحمني، وارفع قــدري، وضَعْ عنِّي وزري، وأعلِ شأني، واجعلني في حزبك المفلحين).

فما أجملَ التذلُّلَ بين يــدي اللهِ بهذه العبوديَّة، وما أرفعَ قدرَ صاحبِها عند الله. ومن هذه العبوديَّات:



(٣١) التوسُّلُ إلى اللهِ بالإيمانِ عند الدُّعاءِ

الإيمانُ باللهِ ورسله، وبكلِّ ما أخبر اللهُ به، من أعظم ما يتقرَّبُ به المؤمنُ إلى ربِّه، ومن أعظمِ ما يدَّخره له ساَعة القدومِ عليه.

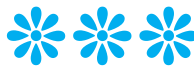
وهو كذلك في الدنيا من أعظم ما يتوسَّلُ به إلى ربِّه، ويجعلُه وسيلةً صالحةً له، وسببًا في قبولِ دعائِه.

ولقد ذكر اللهُ هذه الوسيلةَ لعباده الصالحين في دعواتهم، كما في خاتمةِ سورةِ آلِ عمران في آخرِ عشرِ آياتٍ منها، وهي آياتٌ عظيمةٌ للمتأمِّل، وسلوانٌ للعبدِ التقيِّ، يقول اللهُ تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

وهـذا التوسُّـلُ قليلٌ ممَّـن يدعـون ربَّهم يتفطَّنـون له، ويتوسَّـلون به؛ فلا يسـأل أحدُهم ربَّه بإيمانه به، وبرسوله، وكتبه، واليومِ الآخر، ونحوِ ذلك ممَّا أمر اللهُ به، ولا يتوسَّلون إلى ربِّهم بهذا الإيمان أن يغفرَ اللهُ ذنوبَهم، ويقبلَ أعمالَهم، ويُقيلَ عثراتِهم، ويستجيبَ لهم دعواتِهم؛ فيفوِّتون على أنفسهم وسيلةً هي من أعظمِ الوسائلِ لاستجابةِ الدعاءِ.

وفي التوسُّلِ إلى اللهِ بهذا الإيمان إحياءُ جذوةِ الإيمان في القلب، وتقويتُه في النفس، بل والتلذُّذُ به عند الدعاءِ.

فالغفلةُ عن هذا العمل تُضيِّعُ على المؤمن بعامَّة، وعلى الداعي بخاصَّة، خيرًا كثيرًا؛ فاجعله في دعواتك، وتقرَّبْ به إلى مولاك.



(٣٢) زِدْ في الدُّعاءِ؛ فإنَّ ربَّكَ يُحبُّ منك هذا

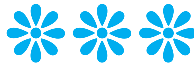
جاء في الحديثِ الصَّحيحِ عن أُمِّ المؤمنين عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُم فَلْيُكثِرْ؛ فَإِنَّمَا يَسأَلُ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ». رواه ابنُ حبَّان والطبرانيُّ، وصحَّحه الألبانيُّ.

فقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإنَّما يسأل ربَّه»، تذكيرٌ بعظمةِ مَن تُرفَعُ إليه المسائل، وهو الربُّ الكريمُ الجوادُ العظيم، الذي لا تنفدُ خزائنُه، ولا ينقصُ عطاؤه بكثرةِ السؤال.

وجاء في حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا بقطيعةِ رحم إلَّا أعطاه اللهُ إحدى ثلاثٍ: إمَّا أن يُعجِّلَ له دعوتَه، وإمَّا أن يدَّخرَها له في الآخرة، وإمَّا أن يدفعَ عنه من السوء مثلَها» قالوا: إذًا نُكثِر؟ قال: «اللهُ أكثر». رواه أحمد والبخاريُّ في الأدب المفرد.

فاللهُ تعالى لا يملُّ من سـؤالِ عبـاده، بل يُحبُّ المُلحِّين في الدعــاء، ويـزداد عطـاؤه كلَّمـا ازداد سـؤالُهم، بخلافِ المخلوق الذي يضيقُ صدرُه بكثرةِ الطلب.

فكن طامعًا في فضلِ ربِّك، راغبًا في المزيد من عطائه؛ فإن أوتيتَ خيرًا فاسأله الزيادة، وإن رُزقت نعمةً فاسأله دوامَها، وإن فُتِـح لك بابُ طاعةٍ فاسـأله الثباتَ عليها، ولا تنظر إلى استحقاقك، ولكن انظر إلى سعةِ كرمِ اللهِ وجودِه.



(٣٣) عُلُوُّ الهِمَّةِ في الدُّعاءِ

فتحَ اللهُ لعبادِه بابَ الدعاءِ ليطلبوا منه ما شاؤوا من مطالبِ الدنيا والآخرة، غيرَ أنَّ هذه المطالبَ تُعبِّر عمَّا في القلوب من هِمَمٍ ورغبات؛ فاختلافُ الدعواتِ باختلافِ الهمم.

ومع أنَّ الجميعَ على خيرٍ في دعواتهم، فاللهُ يُحبُّ أن يُسأل، إلَّا أنَّ العبدَ العاقلَ ينبغي له أن يتأمَّل في مطالبه، وينظر في مسائله؛ فإن كانت ممَّا يرفعُه في الدارين لزمها، وألحَّ فيها، ولم يملَّ من تكرارها، وإن كانت دون ذلك التفتَ إلى معالي الأمور وأشرافها.

وقد ربَّى النَّبيُّ ﷺ أصحابَه على عُلُوِّ الهِمَّةِ في السُّؤال؛ ففي صحيحِ البخاريِّ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «...فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ، فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فإنَّه أَوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعْلَى الجَنَّةِ - أُراهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحمنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ».

فانظُرْ - يا رعاك الله - كيف يُوجِّهُ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّفوسَ إلى عُلُوِّ الهِمَّةِ في الدُّعاءِ، فلا يَرضى لها بالدُّون، ولا يُعوِّدُها سُؤالَ القليل، بل يَحُثُّها على طَلَبِ أَعْلَى منازلِ الجِنان، وهو الفِرْدَوْسُ الأعلى.

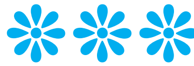
وفي الحديثِ المتفقِ عليه في ذِكرِه لأبوابِ الجنَّةِ وأنَّها ثمانيةُ أبوابٍ، فلمَّا سمع أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذلك تاقت نفسُه ليدخلَ من أيِّها شاء، قال: «هل يُدعى أحدٌ من تلك الأبوابِ كلِّها؟» فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم، وأرجو أن تكونَ منهم».

وكذلك ربيعةُ بنُ كعبٍ الأسلميُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لمَّا قال له النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْني»، لم يسألْ أمرًا من أمورِ الدُّنيا، وإنَّما قال: (أسألك مرافقتَك في الجنَّة).

فهذه هِمَمٌ عاليةٌ، ونفوسٌ شريفةٌ، لا ترضى بالدُّون، ولا تقف عند القليل، ولذا بلغت منازلَ رفيعةً بصدقِ الطلب، وسموِّ المقصد.

فعلى المؤمن أن يرفع همَّته في دعائه، ويسـأل ربَّه أعظمَ المطالـب، من كمـالِ الإيمان، وحسـنِ الخاتمـة، والفوزِ بالدرجـاتِ العُلـى مـن الجنَّة، وأن يكـون نافعًـا لعبادِ الله، ناشـرًا للعلم، أو سببًا في إحياءِ سُنَّةٍ، وهدايةِ غيره، مُسدِّدًا في فعلِ الخير.

فَعُلُـوُّ الهمَّة في الدعاء دليلُ حيـاةِ القلب، وعلامةُ صدقِ التعلُّق بالله، وأمارةُ فقهِ العبدِ بأمرِ ربِّه.



(٣٤) لا تَسْتَعْظِمْ طَلَبًا أَنْ تَسْأَلَهُ رَبَّكَ

المُوقِـنُ بعَظَمَةِ صفاتِ اللهِ يدعــوه بإيمانٍ كاملٍ، ويقينٍ راسخٍ لا يعتريه شكٌّ أنَّ ربَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وكثيرًا ما يُوسـوِسُ الشيطانُ للعبدِ، فيزرعُ في نفسِه القنوطَ واليـأسَ مـن الإجابة، ويُصـوِّرُ لـه أنَّ بعضَ الدعـواتِ بعيدةُ المنال، وأنَّ تحقيقَها ضربٌ من الخيال، فيتركُ سؤالَ ربِّه عنها.

انظُـرْ إلى حالِ الفقيرِ الذي يسـتبعِدُ أن يكـونَ غنيًّا يومًا من الأيَّام؛ فتراه لا يسـألُ ربَّه الغِنى، مع أنَّ الواقعَ شاهدٌ بأنَّ أناسًا كثيرين كانوا من أفقرِ الناس، ثم صاروا من أغناهم.

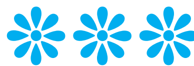
وانظُـرْ إلى بعضِ المرضى الذين ييأسـون من الشـفاء، فيتركـون الدعـاءَ برفـعِ المـرض، فتفوتُهم العافيـة، مع أنَّ غيرَهم قد يئسَ الطبُّ من شفائه، ولكنّه لمْ ييأسْ من رحمة ربِّـه، ووثِقَ بقدرتِه وفضلِه، فألـحَّ في الدعاء، فأنزلَ اللهُ عليه الشفاء، وألبسه لباسَ العافية.

وانظُرْ إلى من كان بعيدًا عن طريقِ الاستقامة، فاستبعَدَ الهدايةَ، ولم يُكثِرْ من الدعاءِ بها، فمات على حالِه، في حين أنَّ غيرَه ممَّن كان مُقيمًا على المعصية أحسنَ الظنَّ بربِّه، وأكثرَ من الدعاءِ بالهداية، فهداه اللهُ واجتباه.

وقِسْ على ذلك من دعا لولدٍ أو قريبٍ بالهداية، فلم ييأسْ، ففتحَ اللهُ له قلبَه، وأصلحَ حالَه.

فهذه صورٌ متعدِّدةٌ من عطايا اللهِ لعبادِه الذين لم يستعظِموا طلبًا، ولم يستبعِدوا خيرًا؛ لعلمِهم بسعةِ فضلِ اللهِ وكرمِه.

فلا تستعظِمْ طلبًا تسألُه ربَّك، ولا تستبعِدْ خيرًا يأتيك من مولاك، وأحسِنِ الظنَّ به، مع اجتنابِ الاعتداءِ في الدعاءِ، وبذلِ الأسبابِ المشروعة، وسترى من فضلِ ربِّك ما يُقِرُّ عينَك



(٣٥) بابُ الدُّعاءِ مَفْتوحٌ، ولا تَدري مَتَى تُجابُ دَعْوَتُكَ

مِن مظاهرِ رحمةِ اللهِ في شأنِ عبادةِ الدُّعاءِ أنَّ العبدَ يستطيعُ أداءَها في أيِّ وقتٍ، وفي أيِّ مكانٍ، إلّا ما يُنَزَّهُ عنه.

ولا تحتاجُ هذه العبادةُ إلى شروطٍ تُعجِزُ النّاس، فتدعو وأنتَ على طهارةٍ أو على غيرِ طهارةٍ، وتدعو في المسجدِ أو في البيتِ أو في السوقِ، وعلى دابَّتِك، ولوحدِك أو بينَ النّاس؛ وكلُّ ذلك ليُكثِرَ العبدُ من الدُّعاءِ، ويكونَ من أهلِ هذه العبادةِ الجليلةِ الجامعة.

ومن كرامةِ عبادةِ الدُّعاءِ أنَّكَ لا تدري متى تُستجابُ لك، فقد تدعو بدعواتٍ كثيرةٍ في فترةِ شبابِك، فيُستجابُ لك في زمنِ الشَّيب.

وقد يكـونُ المرءُ مُقيمًا على ذنبٍ يـودُّ الفِكاكَ منه، فلا يتخلَّصُ منه إلّا بعدَ سـنواتٍ، فيلقى اللهَ تائبًا من هذا الذنبِ بعدَ لزومِه الدُّعاءَ به.

وقد يسألُ الداعي ربَّه الذُّرِّيَّةَ الطَّيِّبةَ، ويُلازمُ هذا السُّؤالَ سـنينَ طوالًا، فيرزقه اللهُ ما سـأل، ويُباركُ لـه فيه، ويُعوِّضُه عن صبرِه ورضاه.

وقد يهدي اللهُ له عزيزًا بعدَ سـنواتٍ من التَّعبِ والجهدِ معـه، مع لزومِ سـؤالِ اللهِ صلاحَه من غيـرِ يأسٍ ولا قنوط، تحقيقًا لهذا المطلبِ النَّفيس.

وقـد يدلُّكَ اللهُ على الحقِّ بعدَ بحثٍ طويلٍ وزمنٍ مديد، وغيرِ ذلك من صورِ استجابت الدعاء.



(٣٦) استحضارُ المعاني عند الدُّعاءِ

جاء في حديثِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدايَتَكَ الطَّرِيقَ، وبالسَّدادِ سَدادَ السَّهْمِ».

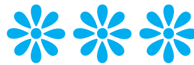
وفي روايةٍ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ الهُدَى والسَّداد». رواه مسلم.

فانظرْ كيف أرشدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى استحضارِ معاني ما يدعو به؛ فإذا سأل ربَّه الهُدى تذكَّر هدايةَ الطريق وبصيرةَ السَّبيل، وإذا دعا ربَّه بالسَّداد تذكَّر سَدادَ السَّهم وإصابةَ الهدف، وهكذا ينبغي أن يكون الدَّاعي حالَ دُعائِه مستحضِرًا المعنى الذي يدعو به، حتى لا يدعو بقلبٍ غافل.

فإذا سألتَ ربَّكَ الجنَّةَ، فتذكَّر نعيمَها العظيم، وخيراتِها الكثيرة، وما فيها من بساتينَ وأنهار، وأزواجٍ حِسان، وأنهارٍ جارية، ونخيلٍ وزروعٍ بهجةٍ للناظرين، ومساكنَ عالية، وملابسَ جامعةٍ للحُسن والجمال، وتذكَّر جمالَ أزواجِها وكمالَهنَّ، واجتماعَ الأرواحِ الطيِّبة فيها، ورضا ربِّكَ الرحمن، وغيرَ ذلك من أنواعِ النعيم الذي أعدَّه اللهُ لأوليائه؛ لتسألَها ربَّكَ بلسانٍ صادقٍ، ورغبةٍ كاملة.

وإذا استعذتَ باللهِ من النَّار، فتذكَّر عذابَها الأليم الذي أعدَّه اللهُ لمن عصاه، من مُقطَّعاتِ النَّار التي تُحيط بأهلها، فلا تتركُ لهم راحةً ولو لحظةً واحدة، وتذكَّر سُمومَها، وحرارةَ مائها، وغُصَّةَ طعامِ أهلها، ونتانةَ روائحِ المُعذَّبين فيها، ونحوَ ذلك من نكالِها وعذابِها؛ لتستعيذَ باللهِ منها بقلبٍ خائف.

وإذا ســألتَ ربَّكَ التوفيقَ لفعلِ الخير، فاستحضِر فضلَه وحُســنَ عاقبتِــه، وإذا ســألتَه العلــمَ فتذكَّر فضلَــه ومكانتَه وثمراتِــه وآثــارَه، وإذا ســألتَه البركةَ في حياتِــك وما تملك، فتذكَّــر أثــرَ هذه البركةِ عليــك، وهكذا في جميعِ مســائلك، اجتهدْ أن تُحضِرَ قلبَك فيها، واستحضار معانيَ ما تدعو به؛ فإنَّ حضورَ القلبِ في الدُّعاءِ من أعظمِ أسبابِ الإجابة.



(٣٧) اسألْ ربَّكَ كلَّ شيءٍ

تقولُ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سَلُوا اللهَ كلَّ شيءٍ، حتّى الشِّسعَ؛ فإنَّ اللهَ إن لم يُيَسِّرْه لم يَتَيَسَّرْ». قال الألبانيُّ: سنده جيّدٌ موقوف.

ويقولُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الإسرائيليات: أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا ربِّ، إنَّه ليَعرِضُ لي الحاجةُ من الدُّنيا فأستحي أن أسألَكَ، قال: يا موسى، سَلْني حتّى ملحَ عجينِك). [جامعُ العلومِ والحِكم: ١/ ٢٢٥]

فاللهُ يُحبُّ من عبادِه أن يسألوه كلَّ شيءٍ، مهما كان صغيرًا في نظرهم، وما ذاك إلا لسَعةِ كرمِه وجودِه.

ولعلَّ من الحِكَم في سؤالِ اللهِ كلَّ شيءٍ أن يوقنَ العبدُ أنَّه لا غِنى له عن فضلِ ربِّه في شأنِه كلِّه، فيصيرَ ربُّه ملاذَه الدائم، ومفزعَه عند كلِّ نائبة، ويعظُمَ اعتمادُه عليه، ويصدقَ يقينُه بفقرِه إليه، وهذا هو عينُ غِناه؛ ليسلمَ من التعلُّق بالبشر، والأسبابِ الظاهرة.

وسـؤالُ اللهِ كلَّ شـيءٍ هو عينُ العزِّ، وشـرفُ الكرامة، وترجمـةٌ ظاهرةٌ لصـدقِ التعلُّق بالله، الذي يـورثُ صاحبَه أعلى المنازل، وهو الصـورةُ الحقيقيّة لانصرافِ النظر عن المخلوقين، وهذا هو التوحيدُ الذي يرتضيه اللهُ من عبده.

ومن أكثـرَ من الدُّعاءِ رأيتَـه في حفـظِ اللهِ ورعايتِه؛ لأنَّه يدعـوه إذا أصبـحَ وإذا أمسـى، وفي جميـعِ سـاعاتِ يومه، ويدعـوه في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، وفي الشـدّةِ والرَّخاء. فهنيئًا لعبدٍ وُفِّقَ للدُّعاءِ على الدوام؛ فإنَّه سـيصله من الخيراتِ ما لا يخطرُ له على بال.

بخلافِ من قصَّر في هذا الشأن، فإنَّه يفوته خيرٌ كثير.

فيا أيُّها المُقصِّرُ في عبادةِ الدُّعاءِ - وكلُّنا ذاك الرَّجل - اعلمْ أنَّ للهِ سـاعاتٍ لا يردُّ فيها سـائلًا، ولا يُخيِّبُ فيها طالبًا، واعلمْ أنَّ من كان مُكثِرًا من الدُّعاءِ، سـائلًا ربَّه كلَّ شـيءٍ، فإنَّه سيُكرمُ بالإجابة، خصوصًا إذا أتى بأسبابِها. فاجعل الدُّعاءَ من عباداتِك الدائمة في ساعاتِ الليلِ والنَّهار، واسألْ ربَّكَ كلَّ شيءٍ.

(٣٨) دعواتُ الكتابِ والسُّنَّةِ جوامِعُ لا مِثيلَ لها

إذا تأمَّلتَ في أدعيةِ الكتابِ والسُّنَّةِ وجدتَ دعواتٍ جامعةً، لا يفوتُ صاحبَها شيءٌ ممّا يرجوه؛ فقد جمعتْ هذه الدعواتُ الخيرَ بحذافيرِه، ومن جميعِ جوانبِه، واشتملتْ على أعظمِ المطالبِ التي يحتاجُها العبادُ، فهي شاملةٌ لطلبِ العفوِ، والعافيةِ، والمغفرةِ، والرَّحمة، والسَّلامةِ من الآثامِ وآثارِها، والعافيةِ من الآصارِ والأحكامِ الشاقَّةِ التي لا تحتملُها النُّفوس، وسؤالِ اللهِ الثباتَ على الدِّين، والنَّصرةَ على الكافرين، وسؤالِ أعظمِ المطالبِ من الفوزِ بالجنَّة، والسَّلامةِ من النَّار والخِزيِ بدخولِها، وسؤالِ حُسنِ الخاتمة، والموتِ على أحسنِ حال، وسؤالِ الهدايةِ لخيرِ الأعمال، وصلاحِ النَّفسِ والذُّرِّيَّة، وحُسنِ العاقبة، وغيرِ ذلك ممّا هو خيرٌ للعبدِ في الدُّنيا والآخرة.

ففي آخرِ سورةِ البقرةِ جاءت دعواتٌ جامعةٌ في موطنٍ واحد، اشتملتْ على مطالبَ عظيمةٍ للمؤمنين، يقولُ اللهُ تعالى في دعائِهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وكذلك خاتمةُ سورةِ آلِ عمران، وخاتمةُ سورةِ الفرقان، وغيرُها من مواطنِ الدَّعواتِ في القرآنِ الكريم؛ مَن تحقَّقَتْ له، فقد فازَ بخيرَيِ الدُّنيا والآخرة، ونالَ من فَضْلِ اللهِ ما تقرُّ به عينُه، وتطمئنُّ له نفسُه، وكان من أهلِ السعادةِ والكرامةِ في العاجلِ والآجل، ولم يفتْه شيءٌ من المطالبِ الشريفة؛ ولذا ينبغي للعبدِ حفظُ أدعيةِ القرآن، والمداومةُ عليها.

وقد كان هديُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّعاءِ الاعتناءَ بجوامعِه، والدُّعاءَ بها؛ فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان

رسولُ اللهِ ﷺ يستحبُّ الجوامعَ من الدُّعاءِ، ويَدَعُ ما سوى ذلك». رواه أبو داود.

فهذا هو الهديُ الأمثلُ الذي ينبغي للدَّاعي أن يتَّبعَه في دعائِه، ولو تتبَّعتَ أدعيةَ السُّنَّةِ لوجدتَها كذلك.

وتأمَّلْ في هذه النماذج لترى ذلك ظاهرًا، فمن دعائِه ﷺ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي ديني الذي هو عِصمةُ أمري، وأَصْلِحْ لي دُنيايَ التي فيها معاشي، وأَصْلِحْ لي آخرتي التي فيها معادي، واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خير، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرّ». رواه مسلم.

ومن هذه الجوامع قولُه ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألكَ الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرُّشد، وأسألكَ موجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألكَ شُكرَ نعمتِك، وحُسنَ عبادتِك، وأسألكَ قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألكَ من خيرِ ما تعلم، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرُكَ لما تعلمَ، إنَّك أنت علاَّمُ الغيوب». رواه أحمد.

ومنها قولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اهـدِني فيمَـن هديتَ، وعافِني فيمَن عافيـتَ، وتولَّني فيمَن تولَّيتَ، وبارِك لي فيما أعطيتَ، وقِني شرَّ ما قضيتَ؛ فإنَّك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنَّه لا يَذِلُّ مَن واليتَ، تباركتَ ربَّنا وتعاليت». رواه أبو داود.

وقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اقسِمْ لنا من خشيتِك ما يحولُ بيننـا وبين معاصيك، ومن طاعتِك مـا تُبلِّغنا به جنَّتَك، ومن اليقين مـا تُهوِّنُ بـه علينا مصائـبَ الدُّنيا، ومتِّعْنا بأسـماعِنا وأبصارِنا وقوَّتِنا ما أحييتَنا، واجعلْه الوارثَ منّا، واجعلْ ثأرَنا على مَن ظلمنا، وانصُرْنا على مَن عادانا، ولا تجعلْ مصيبتَنا في ديننـا، ولا تجعلِ الدُّنيـا أكبرَ همِّنا، ولا مبلـغَ علمِنا، ولا تُسلِّطْ علينا مَن لا يرحمُنا». رواه الترمذي والنسائي.

وقولُـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْـأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْـأَلَةِ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْـرَ الْعَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ، وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي، وَحَقِّقْ إِيمَانِـي، وَارْفَـعْ دَرَجَاتِي، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِـي، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِي،

وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِي، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعَ وِزْرِي، وَتُصْلِحَ أَمْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وَتُحَصِّنَ فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ لِي قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ لِي فِي نَفْسِي، وَفِي سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي، وَفِي خَلْقِي، وَفِي خُلُقِي، وَفِي أَهْلِي، وَفِي مَحْيَايَ، وَفِي مَمَاتِي، وَفِي عَمَلِي، فَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ آمِينَ». رواه الحاكم، وهو صحيحُ الإسناد.

واللهِ إنِّني كلَّما تأمَّلتُ دعواتِ السُّنَّةِ لا أكادُ أتجاوزُها، لما جمعتْه من كلِّ مطلبٍ يطلبُه العبد، ولِما اشتملتْ عليه من خيرَيِ الدُّنيا والآخرة؛ فقُلْ بربِّك: أيُّ خيرٍ يفوتُ مَن تحقَّقتْ له هذه المطالبُ العظيمة؟

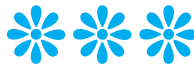
وكذلك الدعواتُ التي يتعوَّذُ بها العبدُ ممّا يحذره، ويسألُ ربَّه السَّلامةَ ممّا يخافه؛ فلا أجمَعَ ولا أفضلَ له من دعواتِ السُّنَّة، ومن ذلك قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من زوالِ نعمتِك، وتحَوُّلِ عافيتِك، وفُجاءةِ نقمتِك، وجميعِ سخطِك». رواه مسلم.

ومنه قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من جهدِ البلاءِ، ودركِ الشقاء، وسوءِ القضاء، وشماتةِ الأعداءِ». رواه البخاري.

وقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من منكراتِ الأخلاقِ، والأعمالِ، والأهواءِ، والأدواءِ». رواه الترمذي.

وفي حديثِ طارقِ بنِ أشجَعَ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سمعَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتاه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، كيف أقولُ حين أسألُ ربِّي؟ قال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وارحمني، وعافِني، وارزقني**». وجمع أصابعَه إلّا الإبهام، وقال: «**فإنَّ هؤلاء تجمعُ لك دُنياك وآخرتَك**». رواه مسلم.

والأحاديثُ الواردةُ في الدعواتِ الجامعةِ كثيرةٌ، فحريٌّ بالعبدِ الناصحِ لنفسه أن يحفظَها، ويجعلَها من دعائِه، ويُتبعُ ذلك باستحبابِ التفصيلِ في المطالب:



(٣٩) البسط في المطالبِ ممّا يُندَبُ إليه في الدُّعاءِ

وهذا المعنى ظاهرٌ جليٌّ في دعواتِ السُّنَّة، وهو متضمِّنٌ لِما تقدَّم وما سيأتي، فأفردتُه بالذِّكر تنبيهًا عليه.

والسُّـنَّةُ هي المصدرُ الثاني للتشريع؛ ولذا كان اتِّباعُ هذا النهج ممّا يُندَبُ إليه ندبًا ظاهرًا، ويُستحبُّ استحبابًا مؤكَّدًا.

وفي التفصيـلِ في الدُّعـاءِ اسـتجلابٌ لحضـورِ القلب، وإظهارٌ للافتقـارِ إلى اللهِ في الجزئيّـات، واعترافٌ بالحاجةِ إليـه في كلِّ صغيرٍ وكبير، وهو وسـيلةٌ من وسـائلِ أسـبابِ إجابـةِ الدُّعـاءِ. ولعلِّـي أذكرُ لك بعـضَ نمـاذجِ الدعواتِ الشاهدةِ على هذا النهج.

انظرْ إلى الدُّعاءِ عند سؤالِ مغفرةِ الذنوب، وكيف يكون فيه طلبُ المغفرةِ لمفرداتِها كلِّها التي قد يقعُ فيها العبد؛ فقد جاء في دعاءِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو المُعلِّمُ للأمَّة -: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ذنبي كلَّه: دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوَّلَه وآخرَه، وعلانيتَه وسِرَّه**».

وقولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُـمَّ اغفِرْ لـي خطيئتي وجهلي، وإسـرافي في أمـري، وما أنتَ أعلمُ بـه منِّي، اللَّهُـمَّ اغفِرْ لي هزلي وجِدِّي، وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي».

وقولـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُـمَّ قِني شـرَّ نفسـي، واعزِمْ لي أرشـدَ أمـري، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ما أسـررتُ ومـا أعلنتُ، وما أخطأتُ وما عمَدتُ، وما علِمتُ وما جهِلتُ».

وعند الدُّعاءِ في الحفظِ، والرعايةِ، والإعانةِ، والنَّصرِ على العدوِّ، والحمايةِ من مكـرِ الماكرين، تأتي التفصيلاتُ لهذا المطلب، فمن ذلك قولُـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ربِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ علـيَّ، وانصُرْني ولا تنصُرْ عليَّ، وامكُـرْ لي ولا تمكُرْ عليَّ، واهدِني ويسِّرِ الهدى لي، وانصُرْني على مَن بغى عليَّ».

وعند طلـبِ المعونةِ على الطاعة، وتفويـضِ الأمرِ إلى الله، يكون هذا الابتهالُ العظيم: «ربِّ اجعلني لك شـكَّارًا، لـك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مطواعًا، إليك أوَّابًا، مُخبِتًا مُنيبًا،

ربِّ تقبَّل توبتي، واغسل حَوبتي، وأجب دعوتي، وثبِّت حجَّتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسلُل سخيمةَ قلبي».

وإذا سأله حبَّه، فصَّل في هذا الحُبِّ، ومن ذلك قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ ارزُقني حبَّك، وحبَّ مَن ينفعُني حبُّه عندك، اللَّهُمَّ ما رزقتَني ممّا أحبُّ فاجعله قوَّةً لي فيما تحبُّ، اللَّهُمَّ ما زويتَ عنِّي ممّا أحبُّ فاجعله فراغًا لي فيما تُحبُّ».

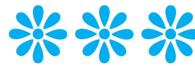
وإذا سأله الخيرَ، طلبه من جميعِ أطرافِه؛ ففي حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّمها هذا الدُّعاء: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك من الخيرِ كلِّه، عاجلِه وآجلِه، ما علِمتُ منه وما لم أعلَم، وأعوذُ بك من الشرِّ كلِّه، عاجلِه وآجلِه، ما علِمتُ منه وما لم أعلَم، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك من خيرِ ما سألك عبدُك ونبيُّك، وأعوذُ بك من شرِّ ما عاذ به عبدُك ونبيُّك، اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك الجنَّةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو

عمـل، وأعوذُ بك من النَّار وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، وأســألُك أن تجعلَ كلَّ قضاءٍ قضيتَه لي خيرًا». رواه ابن ماجه، ورواه مسلم مختصرًا.

وغيـرُ ذلك ممّا هو مبثوثٌ في السُّـنَّة من جوامعِ الدُّعاءِ؛

فالتفصيـلُ في الدعـوات لا بدَّ من العنايةِ به، واتِّباعِ سـبيلِه، وهو أمرٌ نافعٌ للعبد في جوانبَ لا حصرَ لها.

وهذا التَّفصيلُ هو المشروعُ الثابتُ في السُّنَّة، أمَّا الممنوعُ فهو ما جاء فيه النهيُ من تفصيلاتٍ يُستغنَى عنها.



(٤)

توجيهاتٌ مهمَّةٌ في الدُّعاء (٤٠-٦١)

٤٠. لا تَحْمِلْ هَمَّ الإِجابةِ، ولكنِ احمِلْ هَمَّ الدُّعاءِ.

٤١. استحضِرِ النِّعَمَ التي عندك وأنتَ تدعو ربَّك.

٤٢. كرامةُ اللهِ لِمَن يَدعوه.

٤٣. أعظمُ المطالبِ تَتَحَقَّقُ بالدُّعاءِ.

٤٤. لِلدُّعاءِ ثمرةٌ ولا بُدَّ.

٤٥. الدُّعاءُ والذُّنوبُ.

٤٦. مع هَدْيِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ في الدُّعاءِ.

٤٧. الدُّعاءُ وتَعَدُّدُ العَطايا من الرَّحمنِ.

٤٨. مُلاحظةُ العِوَضِ مِنَ اللهِ وإن فاتَتْكَ بعضُ المطالبِ.

٤٩. الدُّنيا ليست دارَ إدراكِ المطالبِ كلِّها.

٥٠. مسائلُ الآخرةِ أنفعُ لصاحبِها وأولى بالعنايةِ.

٥١. إجابةُ الدُّعاءِ وزيادةُ اليقينِ.

٥٢. إجابَةُ الدُّعاءِ، والفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ.

٥٣. التَّغَيُّراتُ في حياتِك تُنبِئُكَ بكثرةِ فضلِ اللهِ عليك.

٥٤. ومَرَّةً أُخرى مع دَعَواتِ الأنبياءِ؛ لأَنَّها عظيمةٌ وشريفةٌ.

٥٥. اللهُ واسعُ الفضلِ والعطاءِ.

٥٦. رِضا اللهِ عمَّن يَدعوه.

٥٧. حوائجُ العبدِ لا تنتهي.

٥٨. الشَّدائدُ والدُّعاءُ.

٥٩. ما مِن شِدَّةٍ إلَّا بعدها فَرَجٌ.

٦٠. لا تُعلِّقِ النَّاسَ بالإجابةِ المباشرةِ عند الدُّعاءِ.

٦١. لعلَّه يُستجابُ دعاؤُك بعدَ سنواتٍ، بل ربَّما بعدَ وفاتِك.

(٤٠) لا تَحْمِلْ هَمَّ الإِجابَةِ، ولكنِ احْمِلْ هَمَّ الدُّعاءِ

صحَّ عن الخليفةِ الراشـدِ عمـرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قـال: (إني لا أحملُ همَّ الإجابـةِ، ولكنّي أحملُ همَّ الدعاءِ، فإذا أُلهمتُ الدعاءَ فإنَّ الإجابةَ معه).

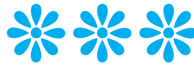
فعمـرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعـرفُ كـرمَ اللهِ وسِـعةَ جـوده، غيرَ أنَّـه كان يحملُ همَّ التوفيـقِ للدعاءِ، والهدايةِ إلى أسـبابِ الإجابة؛ فاللهُ ضمِـنَ الإجابةَ لعبادِه، ولكن يبقى على العبدِ فعلُ الدعاءِ، والإتيانُ بأسبابِ القبول.

واللهُ أمـرَ بالدُّعـاءِ وبشّـرَ بالإجابـةِ، قال سُـبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافـر: ٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والدعـاءُ من أعظـمِ الأسـبابِ التي جعلهـا اللهُ لتحقيقِ المطالب، فمن أُلهمَ الدعاءَ فقد فُتحَ له بابُ الخير.

يقـولُ ابنُ تيميـةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا أرادَ اللهُ بعبـدٍ خيرًا ألهمه دعاءَه، وجعل دعاءَه سببًا للخيرِ الذي قضاه له).

بل إنَّ ممّا يستبشـر به العبدُ، ويقوّي حسـنَ ظنِّه بربِّه، أن يرى من نفسِـه كثرةَ الدعاءِ، وقوّةَ الصلةِ باللهِ، والفزعَ إليه في كلِّ حاجةٍ ونازلةٍ.



(٤١) اسْتَحْضِرِ النِّعَمَ الَّتي عِندَكَ وَأَنْتَ تَدْعُو رَبَّكَ

مِـن أعظم مـا ينبغي أن يسـتحضِرَه الدَّاعي عنـد دعائِه: تذكُّرُ النِّعَمِ التي يملكُها؛ لئلّا يتضجَّرَ إذا لم تُستجَبْ دعوتُه أو تأخَّـرت، وكثيرًا ما يدخلُ الشَّـيطانُ عليه من هذا الباب، فيجعلُه يُسيءُ الظَّنَّ بالله، ولا يرضى بقضائِه؛ فلِذا كان النَّظرُ إلى النِّعَمِ الحاضرةِ منهجًا قويمًا، ومسلكًا رشيدًا.

انظُـرْ إلى دوام الصِّحَّةِ عليـك؛ فكثيرٌ منَّا في عافيةٍ دائمة، ولا يُصيبُـه المـرضُ إلا أوقاتًـا يسـيرة، وتفكَّـر: لـو كانتِ الأمراضُ ملازمةً لنا، كيف تكونُ حياتُنا؟!

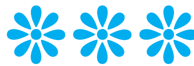
وكم مـن مريض عُوفي من مرضٍ ألَمَّ بـه، وغيرُه أُصيب بمثلِه فتعكَّرت حياتُه أو انتهت.

وكثيـرٌ منَّا رُزِقَ الزَّوجةَ والولـدَ بعد الوحدة، أو عُوِّض عمَّا فاته بصحَّةٍ وعافية، أو كان فقيرًا مسـتورَ الحال، فأغناه اللهُ وكفاه.

تذكَّرْ كفايةَ اللهِ لنا في غالبِ حوائجِنا؛ من طعامٍ وشرابٍ ومسكنٍ وأمنٍ، حتّى إنَّ أكثرَنا لا يفوته إلا الكماليّات، والقِلَّةَ جدًّا من تنقصُهم الضَّروريّات.

والمقصودُ أن نستحضِرَ عند الدُّعاءِ كثرةَ نِعَمِ اللهِ علينا؛ فإن فاتَنا بعضُ المطالب لم نتضجَّر، ولم نُقابِل إحسانَه بالجحود.

إنَّ هذا الاستحضارَ يُورِثُ الرِّضا، ويجعلُ الدُّعاءَ عبادةً ولذَّةً؛ لأنَّه عبادةٌ بحدِّ ذاتِها، قائمةٌ على الإيمانِ بصفاتِ الله، واليقينِ بقدرتِه، وتجديدِ الافتقارِ إليه.



(٤٢) كَرَامَةُ اللهِ لِمَنْ يَدْعُوهُ

جاء في حديثِ سلمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُم حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا» أو قال: «خَائِبَتَيْنِ». رواه أبو داود والنَّسائي وابنُ ماجه.

إنَّ من صفاتِ ربِّنا سبحانه الكَرَمَ وسَعَةَ الجود؛ فلا يمكن أن يدعوه أحدٌ فيَرُدَّ يدَه صِفْرًا، خاليةً من الإجابة، معدومةَ العطاء، فاللهُ يستجيبُ للكافر الذي ارتكب أعظمَ ذنب، وللفاجر المقيم على فجورِه ولا يفكِّر أن ينزِعَ عنه؛ أفَيُعرِضُ عن دعاءِ المؤمنِ التقيِّ الذي يدعوه بدعواتٍ دائمةٍ صباحَ مساء؟!

لا يكونُ هذا أبدًا.

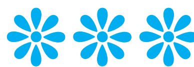
قال الشيخُ ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الصِّفْرُ هو الخالي الذي ليس فيه شيء، وهذا يعني أنه لا بدَّ أن يُعطيَه اللهُ شيئًا حسبما تقتضيه الحكمة).**

وفي هذا الخبـر تحفيزٌ من النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإكثارِ من الدُّعاءِ، فلا يظنَّ الدَّاعي أنَّ دعاءَه لا سامعَ له؛ فاللهُ أكرمُ من ذلك، وصفاتُ كمالِه تُخالِفُ هذا الظَّنَّ، ولكنَّه سبحانه يُعطي بحكمة، ويُجيب بسعةِ علم؛ فلعلَّ سُؤالك هذا فيه ضررٌ عليك في مستقبلِ أيَّامِك، فأنت تسأَلُ المال، ولعلَّه يكون سببًا في غوايتِك وضلالِك، وربما أوردَك النارَ بسوءِ صنيعِك فيه.

وتسألُه دوامَ الصِّحَّة، ولعلَّ في المرض تكفيرًا للخطايا والآثام.

وتطلبُ السَّلامةَ الدائمة، ولعلَّ في المصائب إيقاظًا من الغفلة، وتنبيهًا وإنذارًا، ورجوعًا إلى اللهِ المولى جلَّ وعزَّ.

فأيقِنْ أنَّ اختياراتِ اللهِ لك أحسنُ من اختياراتِك، فهو لا يردُّ لك طلبًا إلا لعلمِه بما هو أصلحُ لك.



(٤٣) أَعْظَمُ المَطالِبِ تَتَحَقَّقُ بِالدُّعاءِ

وهـذا مِمّـا ينبغي تَذَكُّـرُهُ واسـتحضارُهُ لتعـرِفَ فضلَ الدُّعـاءِ، فلـو سَـبَرْتَ تاريـخَ البشـريّة لوجـدتَ أنَّ أَعظمَ المطالـبِ تَحَقَّقَت بالدُّعاءِ، ففي حديـثِ أبي أُمامةَ الباهليِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ الصَّحابـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قالوا: يا نبـيَّ اللهِ، ما كان أَوَّلُ بَدءِ أَمْرِكَ؟ قال: «دَعْوَةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرى عيسى، ورأَتْ أُمِّي أنَّه يَخْرُجُ منها نورٌ أضاءَتْ منه قُصورُ الشَّامِ». رواه أحمد في المسند.

والمقصـودُ بدعـوةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما جـاءَ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقـرة ١٢٩] فـكانَ في هذا الدعاءِ امتـدادُ الخيرِ في ذُرِّيَّتِه، وصارَ أثرُ دعائِه باقيًا.

والقُرآنُ مليءٌ بدعواتِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلام، والصالحين الذين تحقَّقَت مطالبُهم العُظمى بالدُّعاءِ؛ فنُوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينادي ربَّه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، فجاء الجوابُ من القريبِ المجيب: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١].

وسطَّرَ القُرآنُ دعواتٍ كثيرةً لإبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنها دعاؤه بالإمامةِ في الدِّين، وبقاءِ ذِكرِه في العالمين، قال اللهُ عنه: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْأَخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، فأبقى اللهُ له ذِكرَه إلى يومِنا هذا، وإلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها.

وزكريّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُرزقُ الابنَ بعد كِبَرِ السِّنِّ ورِقَّةِ العَظْمِ بعد الدُّعاءِ.

وأيّوبُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رُفِعَ عنه البلاءُ حين ناجى ربَّه بحالِه، وذكر ما مَسَّهُ من الضُّرِّ، وهو مُوقِنٌ أنَّ ربَّه قَديرٌ على كشفِ بَلواه، فهو أرحمُ الرَّاحمين.

ويونسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحبَسُ في بطنِ الحوت، فيدعو ربَّه وهو في قاعِ البحر، فيُنقِذُهُ من الغمِّ، مع أنَّ نجاتَه في حسابِ البشرِ مستحيلةٌ، ولكنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير.

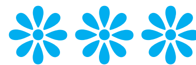
ويعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعودُ إليه أبناؤه بعد طولِ فِراقٍ؛ لأنَّ قلبَه امتلأ ثقةً بربِّه، وكانت شكواه إلى اللهِ وحده، لعلِمه بسَعَةِ رحمتِه بعبدِه المؤمن، وغيرها من الصُّوَرِ التي خَلَّدَها القُرآن، ولا تزالُ تتكرَّرُ في حياةِ النَّاس، يتناقلون أخبارَها، ويشهدون آثارَها.

واللهُ يجعلُ للأمورِ العِظام مقاديرَ مرتبطةً بأسبابِها، فإذا فعلَ العبدُ هذه الأسبابَ تحقَّقَت هذه المقاديرُ، ومن أعظمِ أسبابها الدُّعاء.

فكم مِن ضالٍّ اهتدى بعد الدُّعاءِ، وكم مِن جاهلٍ تعلَّم بعد الدُّعاءِ، وكم مِن فقيرٍ صار غنيًّا بعد الدُّعاءِ، وكم مِن مريضٍ تعافى بعد الدُّعاءِ، وكم مِن مهمومٍ زال همُّه بعد الدُّعاءِ، وكم مِن عقيمٍ رُزقَ الولدَ بعد الدُّعاءِ.

كم وكم مِن مطالبَ كانت بعيدةً كلَّ البُعد عن أصحابِها، وكانوا يظنّون أنَّها بعيدةُ المنال، ولكنَّ اليأسَ لم يتسلَّلْ إلى نفوسِهم، لِأَنَّ القُلُوبَ كَانَتْ مُمتَلِئَةً ثِقَةً بِاللهِ وَقُدْرَتِه فلزموا الدُّعاء، وبذلوا الأسبابَ المشروعة، فتحقَّقَت لهم مطالبُهم الغائبة.

فَإِذَا رُمْتَ أَلَّا يَنْقَطِعَ عَنْكَ العَطَاءُ مِنْ رَبِّكَ، وَأَنْ يَتَوَالَى الخَيْرُ عَلَيْك، فاجعلِ الدُّعاءَ أقربَ سببٍ عندك للرجاء، وداوِمْ عليه حتّى تلقى ربَّ الأرضِ والسَّماء.



(٤٤) لِلدُّعَاءِ ثَمَرَةٌ وَلَا بُدَّ

فعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«ما مِنْ مسلم يَدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ، إلَّا أعطاهُ اللهُ بها إحدى ثلاثٍ:

إمَّا أن تُعَجَّلَ له دعوتُه،

وإمَّا أن يَدَّخِرَها له في الآخرة،

وإمَّا أن يَصرِفَ عنه من السُّوءِ مثلَها».

قالوا: إذًا نُكثِرُ.

قال: «اللهُ أَكْثَرُ». رواه أحمدُ في المسند.

وهذا ممَّا ينبغي اليقينُ به؛ فالدُّعاءُ له ثمرتُه العظيمةُ ولا بُدَّ، فحالُ العبدِ مع الدُّعاءِ إمَّا أن تتحقَّقَ له عينُ الدعوةِ التي دعا بها، أو يُصرَفَ عنه بها شرٌّ كان نازلًا عليه، أو يَدَّخِرَ اللهُ له هذه الدعواتِ ليومِ القيامة، وكلُّها عطايا عظيمة، وعلى مثلِها يحرصُ المرءُ، وهي تدلُّ على شرفِ الدُّعاءِ.

فلـذا كان لزامًا على من يرجو ألَّا ينقطعَ عنه عطاءُ ربِّه، وأن تتواصَـلَ عليه الخيراتُ والبركاتُ من مـولاه، ألَّا يَدَعَ الدُّعاءَ أبدًا، ولو تأخَّرَت عليه بعضُ مطالبِه؛ فلعلَّها اندفعت عنه شـرورٌ كثيرة بسـبب لزومِه للدُّعاءِ، وإن لـم تندفع عنه بعضُ الشرور، فلعلَّ اللهَ حفِظَ له هذه الدعواتِ لينالَ خيرَها وبركاتِها في وقتٍ أحوجَ ما يكونُ إليها، وذلك يومَ القيامة.

ولا بُدَّ من الإشـارة إلى أمرٍ مهـمٍّ في هذا المقام، وهو أن يتنبَّـهَ الدَّاعي حين تتأخَّرُ عليه الإجابةُ أنَّـه ربَّما أُتيَ من قِبَلِ نفسِـه، وسُـدَّت عليه أبوابُ الخير بسبب ذنبِه، وحُرِمَ عطاءَ ربِّـه بإصرارِه على الخطيئة؛ فلذا كان لزامًا على كلِّ أحدٍ أن يُجـدِّدَ التوبةَ على الـدوام، ويُقلِعَ عن الذنـب وإن عادَ إليه ألفَ مرّة، ويُكثِرَ من الاستغفار؛ فإنَّه جالبٌ للخيراتِ كلِّها.

اللَّهُمَّ لا تحرمْنا خيرَ ما عندك بشرِّ ما عندنا، اللَّهُمَّ عامِلْنا بفضلِك وإحسانِك، يا ذا الفضلِ والإحسان.

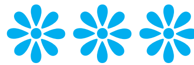
(٤٥) الدُّعاءُ وَالذُّنُوبُ

يقــولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قــال يحيى بــنُ معــاذٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا تَسْــتَبْطِئِ الإجابةَ وقد سَدَدْتَ طريقَها بالذُّنوب).

فالصَّلاحُ والاســتقامةُ لهما أثرُهما في اســتجابةِ الدُّعاءِ، وهذا مــن الكرامةِ المُعَجَّلَةِ لصاحبِها، أمّــا الذُّنوبُ فلها أثرٌ كبيرٌ في الحرمانِ من الاســتجابةِ، حتّى قال بعضُ أهلِ العلم عنــد حديث: «ادْعُــوا اللهَ وأنتم مُوقِنُــون بالإجابة»: (وقيل: المعنــى كونوا عند الدُّعــاءِ في حالٍ تســتحقّون بها الإجابة؛ من قيامٍ بالطّاعات واجتنــابٍ للمعاصي)، فينبغي للمرءِ أن يحــذرَ من الذُّنــوب، وألّا يتهاونَ بشــأنِها؛ فآثارُها الوخيمةُ على صاحبِها لا حصرَ لها.

ومع ذلك فإنَّ اللهَ قد يستجيبُ للعاصي وهو مُقيمٌ على الذَّنب، وهذا يحصلُ كثيرًا، وما ذاك إلا لكمالِ رحمةِ الله؛ فإنَّه يُعامِلُ عبادَه بلطفِه لعلمِه بضعفِهم وحاجتِهم إلى فضلِه، ولعلَّ استجابةَ الدُّعاءِ للعاصي فيها إحياءٌ لخصلةِ الحياء عنده، ليستحييَ من ربِّه، ويُقلِعَ عمّا يكونُ سببًا لسخطِ اللهِ عليه، وحرمانِه فضلَه فيما يستقبلُ من حياتِه.



(٤٦) مَعَ هَدْيِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الدُّعَاءِ

اعتنى القرآنُ الكريمُ بذكرِ حالِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلام مع الدُّعاءِ؛ فذكر كثرتَه، وبيَّن تنوُّعَه، ووضَّح حرصَهم عليه، وصدقَ التجائِهم إلى ربِّهم في جميعِ أحوالِهم.

ومعلومٌ أنَّ الأنبياءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أعظمُ مَن أُيِّدَ بالمعجزاتِ الحِسِّيَّةِ التي على مثلِها يُؤمنُ البشر، وفضلُ الله عليهم كان متواليًا، ومع ذلك لم ينفكّوا يرفعون إلى ربِّهم حاجاتِهم، ويُكثرون من الدُّعاء طيلة حياتِهم، سواءً في خاصَّةِ أنفسِهم وما بينهم وبين ربِّهم، أو في دعوتِهم للنّاس.

دعاه آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ واستغفرَه بعد الخطيئة، وكانت دعواتُ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في مراحلِ حياتِه كلِّها، وإبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو ربَّه في كلِّ أحوالِه، ومع كلِّ كربٍ يُصيبُه، وعند كلِّ نازلةٍ تنزلُ به، والقرآنُ مليءٌ بدعواتِه.

وأوَّلُ ما نُبِّئَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ يقينًا بحاجتِه إلى ربِّه، فدعاه أن يشرحَ له صدرَه، ويُيسِّرَ له أمرَه، ثمّ لم يزل يدعوه حتّى أهلكَ اللهُ له عدوَّه أمام ناظريه.

وزكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد تاقت نفسُه للولد مع كِبَرِ سنِّه، لم يزل يدعوه حتّى رُزِقَه، ورغبت نفسُ سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في مُلكٍ لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فدعا ربَّه بذلك طمعًا في فضلِه، فأُعطِيَه؛ لأنَّ ربَّه كريم.

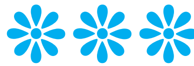
ويوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى مِنَّةَ اللهِ عليه في حياتِه كلِّها، حتّى إذا ما رأى قُربَ الأجل سأل ربَّه الوفاةَ على الإسلام، واللَّحاقَ بالصالحين.

ولم تزل حياةُ نبيِّنا محمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبراسًا لكلِّ داعٍ قويِّ الاتصالِ بربِّه؛ فقد كان كثيرَ الدُّعاءِ في أحوالِه كلِّها.

إنَّ أنبياءَ اللهِ ورسُلَه عليهم الصلاةُ والسلام هم أفقهُ الخلقِ بربِّهم، وأعرفُهم بشرعِه، وإذا تأمَّلتَ في حياتِهم

وجـدتَ الاتصالَ الدائمَ بالله، وظهورَ الافتقارِ إليه في سـائرِ أحوالِهـم؛ فمن رام نيلَ الفضلِ كلِّه، وإدراكَ الخيرِ جميعِه، اتَّبع هديَهم، وسلك طريقَهم.

فدونك هذا الهديَ الأمثل، والسَّبيلَ الأقوم لخيرِ البشر، فالـزمِ الدُّعـاءَ على الـدوام؛ لتفـوزَ بخيرِ العطايـا، وأعظمِ الهبات.



(٤٧) الدُّعاءُ وَتَعَدُّدُ العَطايا مِنَ الرَّحمنِ

اللهُ سبحانه يُعطي عبدَه حتّى يكفيَه، ويُكرمُه حتّى يُرضيَه، ويَرزقُه من حيثُ يحتسبُ ومن حيثُ لا يحتسب، وخيراتُه على عباده بعددِ أنفاسِه.

ومن كرمِ اللهِ أن يُنوِّعَ لعبدِه العَطايا، ويجعلَها تشملُ مناحيَ حياتِه كلَّها، انظرْ لعطائِه لك في الصِّحَّة، وعطائِه لك في الرِّزق، وعطائِه لك في ولدِك ومالِك، وتيسيرِ كثيرٍ من حوائجِك، وتحقيقِ كثيرٍ من مطالبِك.

إنَّ هذه العطايا لو نظرتَ لها بإنصافٍ فإنَّك ستراها تُغطّي حياتَك كلَّها من حينِ ولادتِك حتّى تُغادرَ الدُّنيا، ويَمتدُّ عطاءُ ربِّك لك إن رضي عنك أبدَ الآبادِ في جنّاتِ النَّعيم.

انظرْ إلى عطاياه إليك في صغرِك، وتوالي نِعَمِه عليك حتّى بلغتَ هذا السِّنَّ، والأملُ في اللهِ كبيرٌ أن يُواليَ علينا نِعَمَه حتّى نخرجَ من الدُّنيا ويُكرمَنا أحسنَ الكرامةِ حين نلقاه.

وانظـرْ كيف أمَدَّكَ بالصِّحَّة، ووالى عليك نِعمةَ العافية، وأتمَّ عليك النِّعمة.

ألم تكن فقيرًا فأغناك؟!

ألم يرزقْك الزَّوجةَ بعد الوِحدة، والولدَ بعد الوحشة؟!

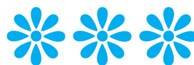
ألم يُعلِّمْك بعد الجهالة؟!

ألم يُعافِك بعد الألم؟!

ألم يهبْك الرّاحةَ بعد القلق؟!

نِعَمٌ لو بقيتَ حتّى آخرِ عمرِك في إحصائِها لأعياك العَدُّ، ولأعجزك الحصر.

إنَّ تذكُّرَ مثلِ هذه النِّعَم عند الدُّعاءِ يجعلُك تُحسِنُ الظنَّ بربِّك، وتعترفُ بفضلِه، وتطمعُ بالمزيدِ من عندِه، وإن فاتَك مطلبٌ تذكَّرتَ جميلَ إحسانِه القديمَ عليك فرضيتَ عنه.



(٤٨) مُلاحَظَةُ العِوَضِ مِنَ اللهِ وَإِنْ فَاتَتْكَ بَعْضُ المَطَالِبِ

العِوَضُ من اللهِ لا حصرَ له ولا مثيلَ له، ومن شأنِ الكريم سبحانه ألّا يُخيِّبَ من دعاه، بل يُعطيه ما يريدُ وزيادة، ويُغدِقُ عليه بنِعَمِه حتّى إنَّه ليعجبُ من ذلك.

فعليك بملاحظةِ العِوَضِ لدعواتِك وإن لم ترَ إجابةً ظاهرةً لدعوةٍ بعينِها؛ فالكثيرُ منّا يدعو بمطالبَ محدَّدة، ولكن لا تتيسَّرُ له فيحزنُ عند ذلك، وربّما أساءَ الظنَّ بربِّه، ولكنَّه لا ينظرُ للعِوَضِ في نواحٍ كثيرة، من دوامِ الصِّحَّةِ عليه غالب حياته، وسلامتِه من المصائبِ الكِبار، أو اجتماعِه بأهلِه، أو كفايةِ شأنِه في الجملة، فجديرٌ بكلِّ مسلمٍ، خصوصًا مَن يُكثِرُ من الدُّعاءِ، أن يلحظَ هذا الأمر؛ فليس شرطًا أن يستجيبَ اللهُ لك عينَ ما دعوتَ به، بل انظرْ لعِوَضِ اللهِ فيما هو قريبٌ من دعوتِك أو غيرِها.

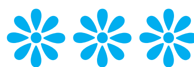
فإذا دعوتَ بأن يُيَسِّـرَ لك الرِّزقَ فلا تنظـرْ لرزقٍ بعينِه، فقد يرزقُك اللهُ رزقًا دونَه أو غيرَه.

وإذا دعوتَ بالذُّرِّيَّةِ فقد يأتيك غيرُ ما ترجو، كأن تطلبَ ولـدًا فتأتيك بنتًـا أو مجموعَ بنات، فاحمـدِ اللهَ وانظرْ لمن حُرِمَ الذُّرِّيَّةَ كلَّها، وهكذا في أمورٍ لا حصرَ لها.

وأعظمُ عِوَضٍ يُعوِّضُه اللهُ عبدَه أن يُعوِّضَه سـلامةَ دينِه، وتوفيقًا للطاعةِ وزيادةً منها، ويُيَسِّرَ له ما يتعلَّقُ بشأنِ الآخرة، والذي هو أعظمُ وأبقى.

بـل إنَّ صبرَك ورِضـاك بعد كلِّ دعوةٍ لم تُسـتجبْ لك أنفعُ لك من تحقُّقِها، فثوابُ الصابرين عظيمٌ حتّى جعله اللهُ بغيرِ حساب، فما الظنُّ به؟!

وهكـذا في سـائرِ مطالبك، انظـرْ لعِـوَضِ اللهِ فيها، وإن فاتَك شيءٌ فأيقِنْ أنَّ العِوَضَ عندَ اللهِ اليومَ أو غدًا.



(٤٩) الدُّنْيا لَيْسَتْ دارَ إِدْراكِ المَطالِبِ كُلِّها

لقـد جعـلَ اللهُ من طبيعـةِ النَّفسِ البشـريّةِ حُـبَّ الدُّنيا، والكثيرُ من الخلقِ يُؤثِرونها على الآخرة، ولا يَسْلَمُ من هذا إلّا من تولّاه اللهُ ووفَّقه لمعرفةِ حقيقةِ الدّارَين.

ولكن عليك أن تُوقِنَ أنَّ الدُّنيا دارُ غرور، وهي دارُ عملٍ لا دارُ اجتماعِ المُتَع؛ فالمرءُ مهما حَصَّلَ من متعِها فإنَّ عاقبةَ ذلـك فقدُها وتَرْكُهـا، وإن اجتمعت له في بعضِ الوقت فإنَّه لا يمكنه أن يَسْتَمْتِعَ بها كلِّها.

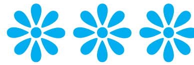
فـإذا تَقرَّرَ هذا، فعليك -يـا رعـاكَ الله- ألّا تُعَلِّقَ قلبَكَ بالدُّنيـا؛ فتفرحَ بها، ومـن أجلِها تحـزن، وألّا يكونَ حالُكَ فيها: إن أتاكَ شـيءٌ منها رضيـت، وإن فاتكَ أمرٌ من متاعِها الزائل سَـخِطت، بـل علِّقْ قلبَـكَ بالآخرة؛ فهي الأشـرفُ منزلة، والأعلى قَدْرًا، والأكثرُ ثوابًا، والأحسنُ عاقبة.

فمَن فَقِهَ هذه الحقيقةَ كانت الآخرةُ هي غايتَه، وصارت جُلُّ مطالِبه لها، ولا يعني ذلك تركَ الدُّعاءِ في أمورِ الدُّنيا؛ فإنَّ الناظرَ في دعواتِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد فيها المطالبَ لصلاحِ الدُّنيا، فمن ذلك قولُه: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينيَ الَّذي هو عِصْمَةُ أَمْري، وأَصْلِحْ لي دُنْيايَ التي فيها مَعاشي، وأَصْلِحْ لي آخِرَتي التي فيها مَعادي، واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خير، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرٍّ». رواه مسلم.

وقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ من الفقرِ والقِلَّةِ والذِّلَّة، وأَعُوذُ بكَ من أن أَظْلِمَ أو أُظْلَم». رواه أبو داود والنَّسائي.

ومنها قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ من الهَمِّ والحَزَن، والعَجْزِ والكَسَل، والجُبْنِ والبُخْل، وضَلَعِ الدَّيْن، وغَلَبَةِ الرِّجال». رواه البخاري.

فكلُّ هذه الدَّعواتِ وغيرها تتعلَّقُ بشأنِ الدُّنيا، فلا يُهمِلُها العبدُ، ولكن من غيرِ تعلُّقٍ بها؛ فما جاءه منها حمدَ اللهَ عليه، وما فاتَه لم يحزنْ عليه، وكانت الآخرةُ ومطالِبُها العُليا هي هَمَّه الأعظم



(٥٠) مَسَائِلُ الآخِرَةِ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا، وَأَوْلَى بِالْعِنَايَةِ

وهذه من المسائلِ المهمّة التي ينبغي أن نلحظَها عند دعواتِنا؛ فالكثيرُ منَّا يرى من نفسِه أنَّ غالبَ دعائِه للدُّنيا، مع أنَّ الدُّعاءَ لأمورِ الدُّنيا مشروع، بل ورد في السُّنَّة دعواتٌ كثيرةٌ بشأنِها كما تقدَّم، ولكنَّ العنايةَ بشأنِ الآخرة أشدُّ وأولى.

فأمامَنا أهوالٌ عِظامٌ في الآخرة، ابتداءً من نزعِ الرُّوحِ وشِدَّتِه، وهولِ المطلع، والإقبالِ على أحوالِ الآخرة، وأمامَنا القبرُ وما فيه من أهوالٍ؛ (فما من أمرٍ إلّا والقبرُ أشدُّ منه)، فكم سنبقى في قبورِنا؟!

وما حالُنا في هذه الحُفرةِ الصغيرةِ الضيِّقة؟!

وما الشدائدُ التي سيلقاها المرءُ فيها؟!

وهل سيُجيبُ الواحدُ منَّا بما يسرُّه عند سؤالِ منكرٍ ونكيرٍ؟!

فجديـرٌ بمن هو قادمٌ علـى هذه الفتنِ أن يكـونَ لها من دعائه أوفرُ النَّصيب.

أمّا أهوالُ القيامة، وما أدراك ما أهوالُ القيامة؟!

فهي شدائدُ عظيمة، وأحوالٌ عصيبة، ووالله إنَّها لجديرةٌ بكثرةِ الدُّعاءِ لأجلِها.

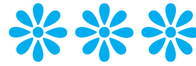
فهناك يومٌ طويلٌ طوله خمسون ألفَ سنة، فما نصيبُه من سؤالِ الله أن يُهوِّنَه عليك؟!

وهناك شِدَّةُ حرارةِ الشَّمسِ وقُربُها من العباد، وطولُ الوقوف وازدحـامُ الخلائـق، ونَصْـبُ الموازيـن، وتطايـرُ الصُّحـف، والمشيُ على الصِّراط، ولقاءُ الله، واقتصاصُ المظالم، ورجاءُ الفوزِ بشفاعةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغيرها من الأهوال.

إنَّ مَـن تفكَّـرَ في هذه الأمـور بقلبٍ حاضـرٍ لَحَرِيٌّ بأن يجعلَ جُـلَّ دعواتِه لها، وحَرِيٌّ بأن يغتنمَ كلَّ فرصةٍ للدُّعاءِ فيدعو بها.

ومن شَغَلَ قلبَه بهذا الشأن فهو جديرٌ بأن يحيا قلبُه، وتستقيمَ حالُه، وتصلحَ علاقتُه بربِّه؛ فهو ينتفعُ من لزومِ هذه الدعوات من جهتين: من جهةِ صلاحِ قلبِه وحالِه، ومن جهةِ فوزِه بأثرِ هذه الدعوات.

ولعلَّ من أعظم المطالب: سؤالَ اللهِ الفوزَ بالجنَّة، والنَّجاةَ من النَّار، وسيأتي الحديثُ عنها.



(٥١) إِجَابَةُ الدُّعَاءِ وَزِيَادَةُ الْيَقِينِ

لمّـا طلـب إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **مـن ربِّـه أن يُريَه كيف يُحيي الموتى، لم يطلبْه من شـكٍّ، -وحاشاه ذلك-،** وإنّما طلـبَ ذلك ليـزدادَ يقينُه ويطمئنَّ قلبُه، قـال اللهُ تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فالمسـلمُ يدعو ربَّه وهو على يقينٍ من قدرةِ اللهِ على اسـتجابةِ دعائِـه، ويدعوه وهو على يقينٍ مـن كرمِه ورحمتِه به، ويدعوه وهو يُؤمِّلُ الإجابةَ، بل كأنَّه يراها بأمِّ عينيْه.

وكلُّنا بلا استثناءٍ قد استجاب اللهُ لنا كثيرًا من الدعوات؛ وربّما تأخَّرَ بعضُها أو لم يُستجَب، ولكنَّ الكثيرَ منَّا لا ينظرُ لِما اسـتجاب اللهُ له، وإنّما نظرُه في الغالب لِما لم يُستجَب،

وهذا لا شــكَّ كُفرانٌ لفضلِ الله، وأثرُه سيِّئٌ على القلب من عدمِ القيامِ بشكرِ الله كما يجب، وحبِّ الله كما ينبغي.

كــم يومًا سـلَّمَ اللهُ لـك فيه دينَـك، وتعافيتَ مـن الفتنِ والمصائبِ التي نزلت بغيرِك؟!

ألم يُدِمِ اللهُ عليك الصِّحَّةَ في غالبِ حياتِك؟!

ألم يرزقْك اللهُ أرزاقًا ما ظننتَ يومًا أنّك تُرزقُها؟!

ألـم يرزقْك مالًا وقد كنتَ حينًـا من الدَّهر لا تملكُ منه شيئًا، وفي كثيرٍ من الأوقات كنتَ في حاجةٍ ماسَّةٍ إليه؟!

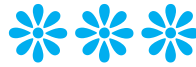
ألم يُيسِّرْ لك أمورًا كانت متعسِّرةً عليك؟!

ألم يُعافِك من بلاءٍ نزلَ بك، أو دفعَه قبل نزولِه؟!

ألم يَحْمِك من مصائبَ كادت تنزلُ بك؟!.

إنَّ هــذه الأمورَ وغيرَها تزيدُ يقينَك أنَّ اللهَ قد اســتجاب لــك كثيــرًا مــن الدعــوات، وأنَّ لُطفَه قــد أحاطَ بــك، وأنَّه

سيستجيبُ لك فيما تستقبلُ من أيّام، ويُحقّق لك مطالب لا زلتَ تتمنّى إدراكها، فالزمْ بابَ الدُّعاءِ، وإن فاتتك بعضُ المطالب، فما تحقَّق لك أكثر، وما انصرفَ عنك من الشُّرور بسبب دعواتِك أعظم، فزيادةُ اليقينِ بأثرِ الدُّعاءِ تجعلك تلزمُه على الدوام.



(٥٢) إِجَابَةُ الدُّعَاءِ وَالْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ

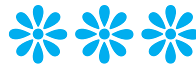
يدعو أحدُنا بدعواتٍ متنوِّعة، فيُكرمُه اللهُ بإجابتِها أو إجابةِ بعضِها، فيفرحُ بما يرى من هذا الفضل من ربِّه، ويحيا عنده الأملُ بأنَّ اللهَ سيستجيبُ له مستقبلًا، وهذا الفرحُ من مظاهرِ الشُّكرِ لله.

والنَّفسُ من طبيعتِها حبُّ العاجل، فإذا رأت إجابةً حاضرةً فرحت، ودفعها هذا الفرحُ للمداومةِ على الدُّعاءِ والإكثارِ منه؛ ولذا نحتاجُ إلى النَّظر كثيرًا لجانبِ الفضلِ من الله في استجابتِه للدُّعاءِ، وإن مُنِعْنا أو تأخَّرت علينا بعضُ المطالب، فلنوقنْ أنَّ الخيرَ كلَّه فيما يختاره اللهُ لنا.

ولقد سطَّرَ القرآنُ هذه المواقفَ في مواضعَ منه؛ فمن ذلك استجابةُ اللهِ للصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يومَ بدر، وإمدادُهم بالملائكة ليقاتلوا معهم، قال اللهُ تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ

لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ [الأنفال: ٩]،

فاللهُ قريبٌ من عبدِه، ويستجيبُ له بمقتضى حكمتِه؛ فافرحْ بفضلِ الله، وزِدْ من دعائِك، فالخيرُ كلُّه من ربِّك.



(٥٣) التَّغَيُّرَاتُ في حَيَاتِكَ تُنْبِئُكَ بِكَثْرَةِ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ

استحضِرْ وأنتَ تدعو أنَّك تدعو الرَّبَّ الكريمَ في عطائِه، الواسعَ في فضلِه، الكثيرَ في خيراتِه؛ وأنَّه قادرٌ على أن يُعطيَك كلَّ مطالبِك، ولكنَّه عليمٌ بما هو الأنفعُ لك؛ فلعلك تطلبُ أمورًا مآلُها ليس خيرًا لك، فيصرفُها عنك وأنتَ تظنُّ أنَّه منعَك إيّاها حرمانًا، ولا تدري أنَّه عطاءٌ بصورةٍ لا تُدركُها.

فادعُه وأنتَ تُحسِنُ الظنَّ به، مستحضِرًا فضلَه القديمَ والحديثَ عليك، ونِعَمًا كنتَ محرومًا منها وها أنتَ اليومَ تملكُها.

ألم تكن خائفًا من مستقبلك ومستقبلِ أولادِك، فصرتَ تراه آمنًا؟!

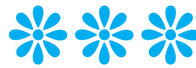
ألم تكن تتوقَّع أمورًا سيِّئةً في حياتِك، فإذا بها أبعدَ ما تكونُ منك، فصرتَ إلى راحةٍ وطمأنينة؟!

ألـم تمرَّ بك مواقفُ رأيتَ فيهـا الهلاكَ لك، فإذا الأمانُ بعدها والسَّلامة؟!

وغيرُهـا من النِّعَمِ التي يسـتحيلُ تعدادُهـا؛ بل لو تفكَّرَ الواحدُ منَّا في نِعَمِ يومِه لأعياه العَدُّ، وأعجزَه الحصر.

إنَّ سـلامةَ يـوم، وعافيةَ ليلةٍ، تعدلُ كنـوزَ الدُّنيا، فكيفَ والنِّعَمُ تترى، والفضلُ كثير؟!

فلِذا كلَّما دعوتَ ربَّك فاستحضِرْ فضلَه العامَّ عليك.



(٥٤) وَمَرَّةً أُخْرَى مَعَ دَعَوَاتِ الأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّهَا عَظِيمَةٌ وَشَرِيفَةٌ.

سَطَّرَ القُرآنُ دعواتٍ كثيرةً للأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلام، وكانت هذه الدعواتُ لأَنفسِ المطالب؛ فتجدُ في دعواتِهم طلبَ المغفرة، وهو أعظمُ ما يحتاجُه العبد، فمَن غفرَ اللهُ له أدخلَه جنَّتَه، ونجَّاه من النَّار.

وإذا كان الأنبياءُ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ - وهم أبعدُ النّاس عن المعصية - يسألون ربَّهم المغفرة، فكيف بحالِ عامَّةِ البشر؟!

قـال اللهُ تعالى عن آدمَ وحوّاءَ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال عن نـوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: ٤٧].

وقال عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

وأمر نبيَّه محمّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستغفار، فقال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمّد: ١٩]؛ فكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوَّلَ المسارعين إلى ذلك؛ ففي الصَّحيح أنَّه كان يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي».

وفي الصَّحيح أنَّه كان يقول في آخِرِ الصَّلاة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

بل كان من المُكثِرين من الاستغفار؛ ففي الحديث الصَّحيح يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى

رَبِّكُمْ؛ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». والمراد به الكثرةُ لا ذاتُ العدد.

فهذا البيانُ يدلُّك على أنَّ كلَّ واحدٍ من بني آدم بحاجةٍ إلى الإكثار من طلبِ المغفرة مهما علا قدرُه.

وفي دعواتِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلام التوسُّلُ إلى الله بقبولِ العمل، ممّا يجعلُ العابدَ العاملَ على وَجَلٍ من ردِّه، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨].

وفي دعواتِهم طلبُ النُّصرةِ على المعتدين، والانتقامُ من المسرفين، قال تعالى عن نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

وفي دعواتِهم طلبُ هِبَـةِ العلمِ النَّافع، والفهمِ الصائب، واللحـاقِ بالصالحيـن في أعمالِهم ومآلِهم، وطلَـبُ الذِّكرِ الحسن بعد الرحيل من الدُّنيا، ودخولُ جنَّةِ النَّعيم، وميراثُ منازلِها العالية، وسؤالُ اللهِ السلامةَ من الخزي يومَ القيامة، وتيسـيرَ وسـيلتِه، وهي سـلامةُ القلب، قـال اللهُ تعالى عن إبراهيـمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٩].

وفي دعواتِهم الأدبُ عند المسألة، وإسنادُ الخيرِ إلى الله، والشَّـرِّ إلى النفس تأدُّبًا مـع الله؛ فمن دعاءِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أسـندَ المرضَ إلى نفسِه، وإن كان عن قدرِ الله وقضائِه وخلقِه، ولكن أضافَه إلى نفسِه أدبًا).**

وفي دعواتِهم سؤالُ انشراحِ الصدر، الذي فيه الإقبالِ على العمل الصالح، والإعانةُ على المهامِّ العظيمة، وتيسيرُ الأمر، وتهيئةُ الأسباب لإتمامِه.

قال اللهُ تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٥-٣٦].

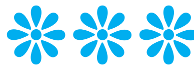
وفي دعواتِهم الاعترافُ بالعجزِ عن الشُّكر، والحاجةُ إلى المعونةِ على الصلاح، والهدايةِ لكلِّ خير؛ فمن دعاءِ سليمانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

وفي دعواتِهم سؤالُ الذُّرِّيَّةِ الطيِّبة، ودوامُ الهداية في العَقِب؛ إذ هي أسمى العطايا، وخيرُ الهِبات، فلا خيرَ في ذرِّيَّةٍ إن

لـم تكن طيِّبة، قال اللهُ تعالى عن زكريّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨].

وفي دعواتِهم طلبُ الحفظِ من همزاتِ الشياطين، والتعوُّذُ باللهِ من تسلُّطِهم، وسؤالُ الحمايةِ من شرِّهم ووسوستِهم، وطلبُ السلامة من الفتن، والعافية من سوءِ العاقبة، وغيرُ ذلك ممّا هو كثيرٌ في القُرآن؛ فكم ينالُ مَن حفِظَ دعواتِ الأنبياءِ من خيرٍ، ويُصرَفُ عنه من شرٍّ!

والمقصودُ أنَّ الدُّعاءَ هو هديُهم، والافتقارَ إلى الله نهجُهم، فالمؤمنُ الحقُّ يتَّبعُ سبيلَهم، ويسيرُ على دربِهم.



(٥٥) اللهُ واسعُ الفضلِ والعطاء

عطاءُ اللهِ كثيرٌ، وفضلُه مُدرارٌ، وجودُه متتابعٌ ليلًا ونهارًا على الخلقِ أجمعين، يسألونه الرزقَ، والصِّحَّةَ، والعافيةَ وغيرها، فيُتِمُّها عليهم، وهم أعدادٌ لا يُحصيها إلّا هو سبحانه، فلا تحرمْ نفسَك من عطائِه وفضلِه بالتقصيرِ في الدُّعاءِ.

ادعُ ربَّك وقلبُك ممتلئٌ يقينًا بأنَّه سيُعطيك حتّى يُرضيك، ويُحقِّق لك مطالبك، وتنال ما تسأله وتتمنّاه وزيادةً عليه؛ فربُّك واسعُ الفضل، وليس لعطائِه نهاية، ولكنَّه عطاءٌ بحكمة، وفضلٌ بعلم.

فلا تظننَّ بربِّك إلّا خيرًا، ولا تيأسْ من روحِه، ولا تقنطْ من إحسانه؛ فإنَّ كثيرًا ممَّن حازوا خيراتِ الدنيا والآخرة من العلماء، والأتقياء، والصالحين، والفضلاء، والمُحسنين لإخوانهم، والنافِعين لأمَّتهم، وأهلِ العافية، وأهلِ الخُلُق القويم، والسيرةِ العطرة وغيرهم، إنّما نالوا هذه الفضائلَ والمكارم بعد فضلِ الله ثم لزومِهم الدعاءَ الصادق.

(٥٦) رِضا اللهِ عَمَّن يَدْعوه

رِضا اللهِ عن عبدِه له أسبابٌ كثيرة، ومنها الدُّعاء؛ فهو تعالى يرضى عن العبد كلَّما دعاه؛ لأنَّه استجاب له حين أمره، وحقَّق عبوديّاتٍ كثيرةً من وراء دعائه، من الإيمانِ بأسمائه وصفاتِه، واليقينِ بسِعَةِ سمعِه، وقُربِه، وكثرةِ إحسانِه وعطائِه، وتفضُّلِه بإجابةِ الدَّعوات.

ويرضى عنه لأنَّه أظهر لربِه الذِّلَّةَ والمسكنةَ، والخشوعَ والتضرعَ، والافتقارَ إليه، والاعترافَ بالحاجةِ إليه، وكثرةَ الإلحاح بالطلب، والبكاءَ بين يديه، وهي عبوديّاتٌ قلبيّةٌ لها منزلةٌ عند الله.

ويرضى عنه وقد سكن الرِّضا قلبَه بقضائه وقدرِه واختياره، ويرضى عنه وقد ملأ الفرحُ قلبَه وهو يرى تحقيقَ بعضِ أمانيه واستجابةَ اللهِ لبعضِ دعواتِه، فيحمدُه على فضلِه، ويشكرُه على جميلِ إحسانِه، فكلُّ هذه العبوديّاتِ بمكانٍ عند الله، ينال العبدُ من ورائها رِضا ربِّه عليه.

(٥٧) حَوائِجُ العَبْدِ لا تَنْتَهِي

معلومٌ أنَّ حاجاتِ العبادِ لربِّهم لا تنقطع، واضطرارَهم إليه دائمٌ، انظرْ لحاجتِهم للنَّفَس، وحاجتِهم للطعامِ والشَّراب، وحاجتِهم للصِّحَّةِ والعافية، وغيرها من الحوائِجِ التي لا مُنتهى لها.

ومع هذه الحاجةِ الدائمةِ إلّا أنَّ فضلَ اللهِ متتابعٌ عليهم بتتابُعِ أنفاسِهم، وخيرَه إليهم نازلٌ بتوالي لحظاتِهم، والدُّعاءُ له شأنُه في إتمامِ هذه الفضائل، وكلَّما أكثرَ منه العبدُ ازّدادتِ الخيراتُ لديه، وثبتتِ النِّعَمُ عنده، وصُرِفَ عنه شرٌّ كثير، وصار في حفظِ اللهِ ورعايتِه.

والنَّاسُ كذلك محتاجون للسَّلامةِ من الفتن، ومحتاجون للبصيرةِ في أمورِهم وما يلتبسُ عليهم في شؤونِهم، وما يعترضُهم من حوادثَ، وغيرها ممّا يكون في حياتِهم اليوميّة، وكلُّها تحتاجُ إلى الدُّعاءِ لينجوَ العبدُ من الشُّرور، ويُبصرَ الطَّريقَ الصَّحيح، فلا غِنى للعبدِ عن ربِّه طَرْفَةَ عين.

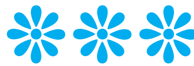
(٥٨) الشَّدائِدُ وَالدُّعاء

تَمُرُّ بالعبدِ شَدائِدُ يظنُّ معها الهلاك، ويبلغُ معه الضِّيقُ والهمُّ مبلغًا لا يُطاق، ولكن يأتي اليقينُ بقدرةِ اللهِ على الفَرَج، وتسكنُ في القلبِ الطُّمأنينة لأقدارِه، وتزيدُ الثقةُ باللهِ على إزالةِ هذا الهمِّ ليقينِ الداعي بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير.

وهذه الشَّدائِدُ يُقَدِّرُها اللهُ لاستخراجِ بعضِ العبوديّاتِ التي لولاها ما ظهرت، وليفوزَ صاحبُها بأجرِها وثوابِها، فلا تحزنْ من أيِّ شدَّة، ولا تتضجَّرْ من أيِّ قَدَرٍ مؤلم؛ فإنَّ من ورائه عطايا كريمة، وهِباتٍ نفيسة، واللهُ قد قضى أنْ لا بلوغَ للمراتبِ العاليةِ في الإيمان، والدَّرجاتِ العُلى، إلّا بعد الشَّدائِدِ والمِحَن.

وعندما تحلُّ بالعبدِ ضائقةٌ، أو تنزلُ به نازلةٌ شديدة، فإنَّ صدقَه في الدُّعاءِ يكونُ أظهرَ ما يكون، إذ يرى أنَّ كلَّ

الأبوابِ قد أُغلقت، وكلَّ السُّـبلِ قد سُدَّت، وكلَّ الطُّرقِ قد أُوصِدت، ولم يبقَ له إلّا بابُ الكريمِ سبحانه، **وهو أوسعُها مَدخـلًا، وأقربُها فرجًا، وأعجلُها فتحًا**، فيعلمُ حينها يقينًا أنْ لا ملجـأَ له إلّا الله، وأنَّه لا يُفَـرِّجُ كربَه إلّا الله، ولا يُنقِذُه من هذه الشِّدَّةِ إلّا الله، وأنَّه لو خُلِّيَ بينه وبين نفسِه هلك، ووُكِلَ إلـى ضعفٍ وخَـوَر، فتراه تجـرَّدَ من كلِّ سـبب، فيدعو ربَّه بصدق، ويسألُه بإخلاصٍ لا نظيرَ له، فهنيئًا لمن جعل شدَّته سبيلًا لصدقِه في دعائِه، وطريقًا لعودتِه لربِّه ومولاه.



(٥٩) ما مِنْ شِدَّةٍ إلّا بَعْدَها فَرَجٌ

هذا يقينٌ لا شكَّ فيه، وحقيقةٌ لا مُبدِّلَ لها، فرحمةُ اللهِ أوسعُ ممّا يظنُّ العبدُ، وقُربُ فرجِه أسرعُ ممّا يتصوَّر، وعاقبةُ كلِّ شدَّةٍ فرجٌ، وبعدَ كلِّ ألمٍ عافيةٌ، وعُقبى كلِّ ضائقةٍ سَعة.

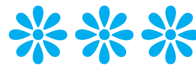
يُلقى إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في النّار وقد ذهبت عنه كلُّ وسيلةِ نجاة، ولكنَّ اللهَ يُنَجِّيه بطريقةٍ فوق حسابات البشر، ويُرمى يونسُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في بطنِ الحوت في أعماق البحار في أمرٍ ظاهره استحالةُ النَّجاة، فيُنَجِّيه اللهُ من الغمِّ، ويُذكِّرُ سبحانه العبادَ كلَّهم بنجاته للمؤمنين حتّى لا ييأسوا من الفرج مهما كان ظاهرُ الأمر الاستحالة، قال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وأيّوبُ يمسُّـه الضُّرُّ سـنين، فيرحمُه أرحـمُ الرّاحمين، ويجعلُ كشـفَ هذا البلاء ذِكـرى للعابدين، قال اللهُ تعالى:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء ٨٣-٨٤]

وهكـذا في صـورٍ ومواقفَ لمضايـقَ وكُرُباتٍ لا حصرَ لها، ولكنَّ الله فرَّجها.

فأيقِنْ أنَّ كلَّ كُربةٍ يعقبها فرج، وأنَّ كلَّ ضيقٍ يتلوه سَعة، وأنَّ كلَّ عُسرٍ بعده يُسرٌ ولا بُدَّ، فما من شدَّةٍ تدوم أبدًا، هذه قاعدةٌ ثابتة، وسُنَّةٌ مُطَّرِدة، فعلى العبد أن يُحسِنَ الظنَّ بربِّه، وأن يُؤمِّلَ خيرًا في مولاه، وأن يمتلئَ قلبُه ثقةً به.

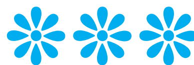


(٦٠) لا تُعَلِّقِ النَّاسَ بالإِجَابَةِ المُبَاشِرَةِ عِندَ الدُّعَاءِ

مـن الأخطـاءِ الشـائعةِ في مسـألةِ الدُّعـاءِ ربـطُ النَّاسِ بالإجابةِ الحاضرةِ عند الدُّعاءِ، فكم تقرأُ من مقالةٍ، وتُشاهدُ من مقاطعَ لبعضِهم، يُوهِمونَ النَّاسَ أنَّهم بمجرّدِ ما يدعون يجدون الإجابةَ حاضرة.

إنَّ الترغيـبَ بالدُّعاءِ بهذه الطَّريقةِ له آثارُه السـلبيةُ على الداعين؛ لأنَّ المسـتمعَ سـيدعو فلا يُسـتجابُ له، فيُسـيءُ الظـنَّ بربهِ، وربمـا أدّى به ذلك إلى تركِ الدُّعـاءِ والتقصيرِ فيه، مع أنَّ الدُّعاءَ بنفسِه عبادةٌ جليلة.

دعِ النَّـاسَ يتعبَّدون ربَّهم بالدُّعـاءِ، واجعلْ أمرَ الإجابةِ للهِ، ولا تُعلِّقهم بالإجابةِ السـريعةِ الحاضرة، فليس هذا من لوازمِ الدُّعاءِ، ولذا:



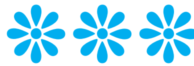
(٦١) لَعَلَّهُ يُسْتَجابُ دُعاؤُك بَعْدَ سِنِينَ، وَرُبَّما بَعْدَ وَفاتِك

يَدعو كثيرٌ مِنَّا بدَعَواتٍ كثيرةٍ، فلا يرى لها أثرًا عاجلًا، ولا إجابةً حاضرةً، وما عَلِمَ أنَّه ربَّما ادَّخرها اللهُ له، أو صَرَفَ بها عنه شرًّا أعظم.

دَعا إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **ربَّه فقال:** ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[البقرة: آية ١٢٩]، فاستجابَ اللهُ له بعد مِئاتِ السِّنين، فجاءت الإجابةُ أكملَ ما تكون، وأبقى أثرًا في الدُّنيا والآخرة.

ودَعا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فقال اللهُ عنه:** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾، فجاءه الجوابُ من ربِّه: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[يونس: ٨٨-٨٩]، وقد قيل: إنَّ الاستجابة كانت بعد أربعين سنة، وشواهدُ هذا المعنى لا تُحصى.

فالمقصودُ أن تعلمَ أنَّ دعاءَك قد لا يُستجاب لك إلّا بعد سنين، وأنَّ دعاءَك لخاصَّةِ نفسك، أو دعاءَك العامَّ للمسلمين بصلاحِهم، وعزِّهم، وتوفيقِهم، وهدايتِهم، ونصرتِهم، قد يُدَّخر لك أجرُه، ولا يظهرُ أثرُه إلّا بعد وفاتك، فتنالُ ثوابَ هذه الدعوات وأنت في قبرك، وهذا مِن أعظمِ بركاتِ عبادةِ الدُّعاءِ، وثمرةٌ جليلةٌ من ثمارِ الدعاءِ للمسلمين، قلَّما يتفطَّن لها الكثير.



(٥)

الدُّعاءُ وأسماءُ اللهِ الحُسنى (٦٢-٦٤)

٦٢ . الدُّعاءُ بأسماءِ اللهِ الحُسنى.

٦٣ . التوسُّلُ إلى اللهِ بأسمائِه الحُسنى وصفاتِه العُلى.

٦٤ . اسمُ اللهِ الأعظم



(٦٢) الدُّعاءُ بأسماءِ اللهِ الحُسنى

ينبغي للدَّاعي أن يَطرُقَ كلَّ سببٍ يُرجى مع قَبولُ دعائِه؛ إذ لا غِنى له عن فضلِ ربِّه، ومن أعظمِ أسبابِ الإجابةِ وأجلِّها: **الدُّعاءُ بأسماءِ اللهِ الحُسنى**.

۞ **والدُّعاءُ بأسماءِ اللهِ الحُسنى يَجمعُ للعبدِ عبادتَين جليلتَين:**

* **الأُولى: التَّعبُّدُ للهِ بأسمائِه الحُسنى.**

* **والثانية: سؤالُ اللهِ تعالى بهذه الأسماء، والتوسُّلُ إليه بها.**

فالتَّعبُّدُ للهِ بالإيمانِ بأسمائِه، ومعرفةِ معانيها، والتقرُّبِ إليه بدعائِه بها، من أشرفِ العباداتِ، وأعظمِها أثرًا في زيادةِ الإيمانِ، وهو من أقوى أسبابِ وُجودِ حلاوةِ الإيمانِ، وترسيخِ اليقين، وزيادةِ الثِّقةِ باللهِ.

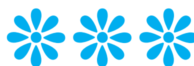
فحين تســتحضرُ معنى (القدير) وأنت تدعو، تثقُ أنّ اللهَ قادرٌ على إجابةِ جميعِ دعواتِك.

وحين تستحضرُ معنى (الكريم)، يزدادُ طمعُك في فضلِه، ويعظُمُ رجاؤُك لإحسانِه.

وحين تستحضرُ معنى (العليمِ الخبيرِ الحكيم)، ترضى بما يُقدِّرُه اللهُ لك بعد دعائِك، وتطمئنُّ إلى حُسنِ تدبيرِه.

وكذلك حين تستحضرُ معنى (الرحيم)، فلا تتضجَّرُ من تأخُّـرِ الإجابة؛ لأنَّه رحيمٌ بك، ومـا منعَك أو أخَّرَ عنك إلّا لحِكمةٍ ورحمة.

وهكذا مع سـائرِ أسـماءِ اللهِ الحُسـنى؛ فكلَّمـا ازددتَ تدبُّـرًا لها، ودعوتَ اللهَ بها، امتلأ قلبُك يقينًا برحمتِه وفضلِه وقدرتِه، وقَوِيَ رجاؤُك به.



(٦٣) التوسُّلُ إلى اللهِ بأسمائِه الحُسنى وصفاتِه العُلى

وهذا منهجٌ قرآنيٌّ، وهديٌ نبويٌّ، ينبغي العنايةُ به؛ فإنَّ المتأمِّل في آياتِ الدُّعاءِ في القرآنِ الكريم، وفي سُنَّةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجد هذا ظاهرًا بيِّنًا، قال اللهُ تعالى على لسانِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧]

فتوسَّلا إلى اللهِ باسمه السَّميعِ العليم عند سؤالِ القَبول.

وقالا: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]،

فتوسَّلا باسمه التوّابِ الرحيم عند سؤالِ التوبة.

ومن ذلك دعاءُ سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]،

فتوسَّل برحمةِ الله أن يُدخِلَه في عبادِه الصالحين.

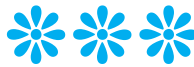
وفي السُّنَّة أمثلةٌ كثيرةٌ للدُّعاءِ بأسماءِ الله وصفاتِه، منها ما رواه مسلمٌ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ... اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ**».

ومنه ما رواه أحمدُ والنَّسائيُّ في «الكبرى» عن رفاعةَ بنِ رفاعةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لمّا كان يومُ أُحُدٍ وانكفأ المشركون، قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: «**استَوُوا حتى أُثنِيَ على ربِّي** عَزَّوَجَلَّ. **اللهمَّ لك الحمدُ كلُّه، اللهمَّ لا قابِضَ لما بسطتَ، ولا مُقرِّبَ لما باعَدتَ، ولا مُباعِدَ لما قرَّبتَ، ولا مُعطِيَ لما منعتَ، ولا مانِعَ لما أعطيتَ، اللهمَّ ابسُطْ علينا من بركاتِك ورحمتِك وفضلِك ورزقِك، اللهمَّ إنِّي أسألُك**

النَّعيـمَ المُقيمَ الذي لا يَحولُ ولا يَزولُ، اللهمَّ إنِّي أسـألُك النَّعيمَ يومَ العَيْلَةِ، والأمْنَ يومَ الحَرب...» الحديث.

فتأمَّل هذا الثناءَ العظيمَ من رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقوله بعـد ما نزل به وبأصحابِه من الألمِ والجِراحاتِ والفقدِ يومَ أُحُـدٍ، ومع ذلك كلِّه يحمدُ اللهَ ويُثني عليه؛ ليقينه أنَّ العاقبةَ خيرٌ، وأنَّ اللهَ مُسـتحِقٌّ للثناء، وإن جاءت النتائجُ في الظاهرِ على غيرِ ما يَرجو العبد.

والمقصودُ أنَّ الدُّعاءَ بأسـماءِ اللهِ وصفاتِه، والتوسُّلَ بها مشروعٌ، وهو من أعظمِ أسبابِ إجابةِ الدُّعاء.



(٦٤) اسْمُ اللهِ الأَعْظَم

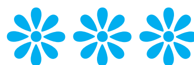
تقـدَّم أنَّ من أعظمِ أسـبابِ إجابةِ الدعاءِ: التوسُّـلُ إلى اللهِ بأسـمائِه الحُسنى، وقد دلَّت الأحاديثُ على أنَّ لله اسمًا أعظمَ، إذا دُعِيَ به أُجيب، وإذا سُئِلَ به أُعطي.

وقد اختلف أهلُ العلم في تعيينِه؛ فقيل: هو اسـمُ (الله)؛ لأنَّـه الاسـمُ الجامـعُ لجميع أسـمائِه وصفاتِـه، وقيل: هو (الحيُّ القيُّوم)، وقيـل: هو (يا ذا الجلالِ والإكرام)، وقيل: إنَّـه مذكـورٌ في مجمـوعِ الأدعية، لا في اسـمٍ واحـدٍ بعينه، واسـتدلُّوا على ذلك بما رواه أبـو داود عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سـمع رجـلًا يدعـو، فيقول: «اللَّهُـمَّ إنِّي أسـأَلُكَ بأنِّي أشـهدُ أنَّـك أنـتَ اللهُ، لا إلهَ إلَّا أنـتَ، الأحدُ الصَّمـدُ، الذي لم يلدْ ولـم يُولَدْ، ولم يكن لـه كفوًا أحدٌ»، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «والذي نفسـي بيدِه، لقد سـألَ اللهَ باسمِه الأعظمِ، الذي إذا دُعِيَ به أُجيب، وإذا سُئِلَ به أُعطي».

وكما في حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا، ورجلٌ يُصلِّي، ثم دعا فقال: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لك الحمدُ، لا إلهَ إلَّا أنتَ، المنَّانُ، بديعُ السَّمواتِ والأرضِ، يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيُّوم»، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد دعا الله باسمِه العظيمِ، الذي إذا دُعِيَ به أُجيب، وإذا سُئِلَ به أُعطي».

فقيل إنَّ اسمَ اللهِ الأعظمَ يُرادُ به مُجمَلُ الدعاءِ الجامع للتوحيد، والثناء، والافتقار، وحُسنِ التوسُّل، لا لفظٌ واحدٌ مجرَّدٌ بعينه.

فلا يُفرِّطَنَّ الدَّاعي في الدعاءِ بأسماءِ اللهِ الحُسنى، وليُكثِرْ من الثناءِ عليه بها، والتوسُّلِ إليه بها، ولا سيّما الأسماءَ التي قيل إنَّها الاسمُ الأعظم؛ فإنَّها من أعظمِ أسبابِ إجابةِ الدعاءِ.



(٦)

الدُّعاءُ والعباداتُ القلبيَّة (٦٥- ٧٧)

٦٥. حُضُورُ القَلْبِ فِي الدُّعَاءِ، وَالحَذَرُ مِنَ الغَفْلَةِ فِيهِ.

٦٦. الدُّعَاءُ وَخُشُوعُ القَلْبِ.

٦٧. الدُّعَاءُ وَالافْتِقَارُ إِلَى اللهِ.

٦٨. (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي).

٦٩. فَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللهِ.

٧٠. رِضَا العَبْدِ لِاخْتِيَارِ رَبِّهِ لَهُ.

٧١. حَتَّى تَتَلَذَّذَ بِالدُّعَاءِ وَتُكْثِرَ مِنْهُ.

٧٢. الدُّعَاءُ وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ.

٧٣. اغْتِنَامُ سَاعَةِ إِقْبَالِ القَلْبِ عِنْدَ الدُّعَاءِ.

٧٤. ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

٧٥. الدُّعاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

٧٦. وَلَكَ بِمِثْلٍ.

٧٧. مَا نَصِيبُ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَصْحَابِ الحَوَائِجِ وَالْمَهْمُومِينَ مِنْ دَعَوَاتِكَ.



(٦٥) حُضورُ القلْبِ في الدُّعاءِ، والحَذَرُ من الغَفْلَةِ فيه

مِنْ أعظم ما ينبغي للدَّاعي أن يعتنيَ به في دعائِه: حُضورُ قلبِه فيه؛ فالنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذّر من الغفْلةِ عند الدُّعاء، فقال: «ادعوا اللهَ وأنتم مُوقِنون بالإجابةِ، واعلموا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ». رواه الترمذيُّ.

والغَفلةُ حالَ الدُّعاءِ داءٌ يَعتري كثيرًا من النَّاس؛ فيدعو أحدُهم وقلبُه شاردٌ في شواغل بعيدة، حتّى لو سُئل عمّا دعا به لَحارَ ولم يدرِ بما دعا.

يا رعاكَ اللهُ...

أحضِرْ قلبَك عند الدُّعاءِ، وعلِّقْه بربِّك وحدَه، واجعله يجتمعُ على المسألة، ولا تلتفتْ إلى غيرِه، ولئن شَرَدَ قلبُك - وهذا كثيرًا ما يقع - فَرُدَّه ردًّا لطيفًا، وألْزِمه بابَ الدُّعاءِ.

وحُضورُ القلْبِ في الدُّعاءِ يَصحبُه الصِّدقُ في الطَّلب، وانصرافُ الذِّهنِ إلى المسألة انصرافًا كاملًا؛ فإذا سألت

اللهَ المغفـرةَ اسـتحضر ذنوبَك، وفقرَك الشـديدَ إلى عفوِه، وأنَّ النجاةَ لا تكونُ إلا بمغفرتِه.

وإذا سـألتَه الجنَّةَ، اسـتحضِرْ نعيمَها المقيم، وأنَّها خيرُ دارٍ، وقد جمعت المطالبَ كلَّها؛ فمن دخلها لم يَفُته شيء، ونال السعادة الأبديَّة، والسلامة من كلِّ ألم.

وإذا اسـتعذتَ بـالله مـن النَّار، فتذكَّـرْ عذابَهـا ونكالَها وخزيَها، فتطلُبَ السَّلامةَ منها بإخلاصٍ وصدق، واستحضر أنَّ مـن دخلهـا تعرَّض لعذابٍ لا طاقةَ له بـه؛ فيدعو القلبُ بخوفٍ وإخلاصٍ ليَسلمَ منها.

وهكـذا إذا سـألتَه أيَّ مطلبٍ، فأحضِـرْ قلبَك لمعاني ما تسـأل؛ فإذا سـألتَه العلمَ فاستحضر فضله وشـرفه، وأظهِرْ له حاجتَك إليه، وإذا سـألتَه التوفيقَ فأظهِرْ افتقارَك الكاملَ إليه، وأنَّه لا غِنى لك عن فضلِه وإحسـانِه، وهكذا في جميعِ مطالبِك.

(٦٦) الدُّعَاءُ وَخُشُوعُ القَلْبِ

خُشوعُ القلبِ مطلبٌ عظيمٌ من مطالبِ المؤمنين الصادقين، يَسألونه ربَهم؛ وذلك لِما علموا من فضلِه ومكانتِه، فهو من أجلِّ عبوديّاتِ القلب، وأعظمِها أثرًا على صاحبِها.

ولعلَّ من أظهرِ العباداتِ التي يتحقَّقُ فيها خُشوعُ القلبِ: عبادةُ الدُّعاءِ.

فخشوعُ القلبِ وخضوعُه يكونُ عند الدُّعاءِ بيِّنًا واضحًا؛ لأنَّ الداعي يدعو ربَّه وهو في غايةِ الاضطرار، وأشدِّ الساعاتِ حاجةً إلى مولاه، فيحصلُ له من الخُشوعِ والذُّلِّ ما لا يجده في غيرِ هذه العبادة.

ويكونُ من وراءِ هذا الخُشوعِ رِقَّةُ القلب، ونزولُ الدَّمعات، وطلبُ رضا الرَّحمن، وهي - كما ترى - عباداتٌ محبوبةٌ للهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٦٧) الدُّعَاءُ وَالافْتِقَارُ إِلَى اللهِ

الدُّعــاءُ صورةٌ صادقةٌ لافتقارِ العبـدِ إلى ربِّه، ودليلٌ بيِّنٌ على يقينِه بأنَّه لا يسـتغني عنه طرفةَ عينٍ، وهذا الافتقارُ من أعظمِ العبوديّاتِ قدرًا، وأنفعِها أثرًا.

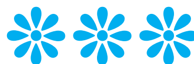
ولـو لم ينَلِ العبدُ من دعائِه شـيئًا مـن العطاء -وهذا لا يكونُ أبدًا- لكفاه ما يرفعه اللهُ به من المنزلةِ بسـببِ صدقِ افتقارِه إليه.

ففي هذا الافتقارِ إلى اللهِ عِزُّ العبوديّة، وشـرفُ المنزلة، وعلوُّ المكانةِ عنده.

وفيه التجرُّدُ من الرِّقِّ للمخلوقين، والسَّلامةُ من الرُّكونِ إليهم، وصدقُ تعلُّقِ القلبِ باللهِ وحده، وفي هذا من المنافعِ ما فيه.

ويظهـرُ في هذا الافتقـارِ الاعترافُ بالحاجـةِ إلى اللهِ؛ إذ يُوقنُ الداعي يقينًا جازمًا بفقرِه إلى ربِّه، وإن كان هذا المعنى مستقرًّا في قلـبِ كلِّ مؤمنٍ، إلّا أنّه يتجلّى ساعةَ المناجاة، ويقـوى مع رفعِ المطالبِ إلى اللهِ سبحانه، وهـو ممّا يُحبُّه اللهُ من عبدِه؛ حين يراه معترفًا بحاجتِه إليه في كلِّ شأنٍ، وفي كلِّ لحظةٍ من لحظاتِ حياتِه.

وإنَّك لتجدُ عند أكثر المؤمنين دعاءً، وأصدقِهم رجاءً، مـن الرِّضا والرَّاحـة والطُّمأنينة، ما لا تجـده عند كثيرٍ ممَّن أهملـوا عبـادةَ الدُّعـاءِ؛ ذلـك أنَّ قلوبَهم قـد تعلَّقت بالله، وآمنت بصفاتِه وأفعالِه، فالزمْ هذا السبيلَ لتنالَ الشرفَ عند ربِّ العالمين.



(٦٨) (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)

ينبغي للمسلمِ أن يُحسِنَ الظنَّ باللهِ، فيُوقنَ بسِعةِ رحمتِه بكلِّ داعٍ وسائل، وتمامِ مُلكِه للأمورِ كلِّها، ونفاذِ أمرِه فيها، وكمالِ قدرتِه على كلِّ شيءٍ؛ فهو سبحانه لا يُعجِزُه طلبٌ أن يُحققَه، ولا دعاءٌ أن يُجيبَه، ولا ذنبٌ أن يَغفِرَه.

أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقولُ اللهُ تعالى: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي...**».

قال القرطبيُّ في المُفهِم: (**قيل: معنى «ظنِّ عبدي بي»: ظنُّ الإجابةِ عند الدُّعاءِ، وظنُّ القَبولِ عند التوبةِ، وظنُّ المغفرةِ عند الاستغفارِ، وظنُّ المجازاةِ عند فعلِ العبادةِ بشروطِها، تمسُّكًا بصادقِ وعدِه؛ قال: ويؤيِّدُه قولُه في الحديثِ الآخر: «ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابة»**). انتهى.

فإحسانُ الظنِّ باللهِ عند الدُّعاءِ من أوجبِ الواجبات؛ فمن شكَّ في قدرةِ اللهِ كفر، ومن أساء الظنَّ به أساء الأدبَ معه، ووكَلَه اللهُ إلى ظنِّه فخابَ وخسِر؛ ولذا كان لزامًا على الداعي أن يُحسِنَ الظنَّ باللهِ وإن لم يرَ إجابةً ظاهرة.

وعلى العبدِ أن لا يَقيسَ أفعالَ اللهِ بأفعالِه، ولا إرادةَ اللهِ بإرادتِه؛ فاللهُ ليس كمثلِه شيء.

فاللهُ علمُهُ كاملٌ، والعبدُ علمُهُ ناقصٌ، وجهلُه بعواقبِ الأمورِ معلوم.

واللهُ كاملُ القدرةِ، والعبدُ قدرتُه ضعيفة.

واللهُ كاملُ التدبيرِ، والعبدُ ضعيفُ الحيلة.

فلا يتسرَّبِ الظنُّ السيِّئُ إلى النفوس؛ فإنّ هذا من ضعفِ الإيمان، ومن قلَّةِ العلمِ والفهم، ومِنْ تسلُّطِ الشيطانِ على الإنسان،

فـادعُ اللهَ وأنـتَ تُحسـنُ الظنّ بـه، وأنّـه واسـعُ الكرمِ والعطاءِ، يُجيبُ الدُّعاء، ولا يُخيّبُ الرجاء.

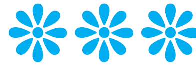
ولا تنقطعْ عن سـؤالِه وطلبِه ولو طال زمنُ الإجابة، ولو لم ترَ بوادرَ انفراجٍ لكُربتِك، أو قُربًا لإجابتِك.

فكم من كُرُبـاتٍ ومَطالِبَ كان تحقيقُها في نَظَرِ صاحبِها مُستَحيلًا أو صَعْبَ المَنال، فإذا بها تَتيَسَّرُ وتَتَحَقَّقُ بِلُطْفِ اللهِ وتَوفيقِه.

كـم من امـرئٍ كان محكومًا عليه بالإعـدام، ولا توجد بوادرُ كشـفٍ لهذا القضاء، إلَّا أنَّه كان كثيرَ الدُّعاءِ، مُحسِنَ الظنِّ بربِّه، فإذا به ينجو من الموتِ بأعجوبة.

وكـم من مريـضٍ يئس الأطبَّـاءُ من شـفائِه، ولكنَّه كان كثيرَ الدُّعاءِ، مُحسِنَ الظنِّ بربِّه، فإذا به يتعافى كأنَّه لم يُصَب بمرض.

وكم من أُمنياتٍ كانَ صاحبُها أنَّها بعيدةُ المنال، فإذا هي حاضرةٌ بين يديه، فَأَحسِنِ الظَّنَّ باللهِ، وقَوِّ الإيمانَ بِقُدرتِه، وما دُمتَ كذلك فأنتَ على خير؛ وستُداومُ على الدُّعاءِ، ويكثُرُ أجرُك ـ بإذنِ الله ـ وتَنالُ مطلوبَك، وتتحقَّقُ لك أمانيك.



(٦٩) فَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللهِ

جاءَ في حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قالَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِن ضُرٍّ أَصابَهُ، فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لِي، وتَوَفَّنِي إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيْرًا لِي» رواه البخاري.

يُصابُ بعضُ النّاسِ بِفِتَنٍ عظيمةٍ، حتّى إنَّ أحدَهم ربّما دعا على نفسِه بالموتِ لشِدّةِ ما نزلَ به، وهذا أمرٌ منهيٌّ عنه؛ فقد أُمِرَ العبدُ أن يُفوِّضَ الأمرَ إلى الله؛ لأنَّه - سبحانه - هو العليمُ الخبيرُ بمآلِ بكلِّ شيءٍ، وعاقبةِ كلِّ قَدَرٍ مؤلِمٍ.

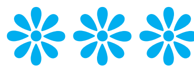
ولأنّ الموتَ فيه انقطاعُ عملِ العبد، ولا أعظمَ مصيبةً من ذلك، والعبدُ لا يدري ما الذي يحصلُ له بعد هذه الفتنة؛ فقد ينجو منها، وتكونُ له حُسنُ العاقبة، ولذلك وجَّهَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ العبدَ إلى هذا الدُّعاء الجامع بقوله: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لِي، وتَوَفَّنِي إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيْرًا لِي».

وهـذا الدُّعـاءُ فيـه تفويـضٌ كاملٌ مـن العبـدِ لله، وفيه الاعـتراف بسَـعةِ علمِـه، وجهـلِ النَّفـس، وكمـالِ قدرتِه، وضعفِ الإنسان.

وتمنِّي الموتِ إنّما يصلُ إليه الإنسـانُ عند نزولِ بلاءٍ لا طاقةَ له به، أمّا ما يعترضُ حياةَ كثيرٍ من الناس من ضيقٍ وهمٍّ، فواجبُها الصبرُ وتلقِّيها بالرِّضا؛ فلا يكادُ أحدٌ من الخلق إلّا وتتعكَّر عليه كثيرٌ من أموره، وهذا من طبيعةِ الحياةِ الدنيا.

وليَتذكَّـرِ العبدُ أنَّ كلَّ قضاءٍ يقضيه اللهُ له خيرٌ، وإن كان ظاهـرُه مُرًّا؛ ففي شـدَّةِ البـلاءِ تمحيصٌ، ورفعـةُ درجاتٍ، وتكفيرُ سيِّئات.

والمرءُ لا يعلمُ عواقبَ الأمور، ولا أسرارَ الأقدار، فعليه بالصبرِ، وتفويضِ الأمرِ كلِّه للهِ.



(٧٠) رِضَا العَبْدِ لاخْتِيَارِ رَبِّهِ لَهُ

في الدُّعاءِ عبوديّاتٌ كثيرة، منها: الصَّبر، والرِّضا باختيارِ الله.

وهــذا ما نحتاجُه كثيــرًا عند الدُّعاءِ؛ فالتعبُّــدُ لله بالرِّضا باختيارِه، واليقينُ التامُّ بأنَّه أحســنُ من اختيارِنا، من أشرفِ العباداتِ القلبيَّة.

وإنَّما يصلُ العبدُ إلى هذه الدرجةِ عندما يُوقنُ أنَّ علمَ ربِّه أوسعُ من علمِه، وأنَّه - سبحانه - الخبيرُ بالأنفعِ والأصلحِ لــه، وهو الرَّحيمُ اللَّطيفُ به؛ فهــو لم يمنعْ عنه مطالبَه بُخلًا ولا عجـزًا -تعالى الله- وإنَّمـا منعه حِكمةً وعلمًا، فكم كنَّا نتمنَّى أمورًا فجاءت مخالفةً لاختياراتِنا، وكرِهنا ذلك، ولم يمضِ زمنٌ إلَّا وكانت عاقبةُ ما كرِهنا خيرًا لنا.

إنَّ مـن طبعِ ابـن آدم حبَّ العاجل، ومـن صفاتِه الجهلَ بالعواقب؛ فيظنُّ أنَّ ما يتمناه هو السـعادةُ المطلقة، والحلُّ لجميعِ مشـكلاتِه، وأنَّه سـيكون من ورائه الرَّاحة؛ فإذا هذا المحبـوبُ ينقلـبُ ألمـًا، وذاك المرغـوبُ فيه يعـودُ حُزنًا وكمدًا.

فكم من رزقٍ طلبناه بعينِه، فلمَّا فاتَنا حَزِنَّا حزنًا شـديدًا، ثم عوَّضَنا اللهُ رزقًا غيرَه كان خيرًا منه بكثير.

وكم من إنسانٍ سعى جهدَه للحصولِ على وظيفةٍ معيَّنة، فإذا بها صارت سببًا للألمِ والمصائبِ والنَّكبات.

وكـم من رجلٍ تمنَّـى امرأةً بعينِها، وسـعى جهدَه ليفوزَ بها، وجلس يدعو ربَّه كثيرًا لتكون من نصيبِه، فلمَّا تزوَّجها كان التَّعـبُ والشَّـقاء، والألمُ والحزن، فـودَّ أن لو انصرفَ عنها.

وربَّما تزوَّج بأخرى، وغلب على ظنِّه عدمُ وجودِ السعادةِ والرَّاحة معها، فإذا هي موطنُ الأُنسِ والفرح.

وهكذا المرأةُ ربَّما تمنَّت رجلًا بعينِه، وكانت تُمنِّي النَّفسَ بالسعادةِ معه، وتدعو ربَّها صباحَ مساءَ ليكون من نصيبِها، فلمَّا تزوَّجتْه كان التَّعبُ والهمُّ والحزنُ الكثير.

وهكذا في مواقفَ كثيرةٍ من حياتِنا؛ من مالٍ، وجاهٍ، ومنزلةٍ، وغيرِها من أمورٍ كثيرةٍ لا حصرَ لها، يدعو بها أحدُنا ويطلبُها، فيكونُ في هذا الطَّلبِ عطَبَه وهلاكَه؛ فارضَ باختيارِ اللهِ لك، فهو أحسنُ الاختيار.

ولا يعني هذا عدمَ الدُّعاءِ بمطالبَ معيَّنة؛ فربَّما في تحقيقِها لك سعادةُ الدُّنيا والآخرة، وإنَّما المقصودُ الرِّضا بما قسَمَه اللهُ، وعدمُ الحزنِ كثيرًا عند فواتِ الأمورِ التي تظنُّها الأنفعَ لك.

(٧١) حتّى تَتَلَذَّذَ بالدُّعاءِ وتُكثِرَ منه

مِـنَ الهِبـاتِ الرَّبَّانيَّـةِ في عبـادةِ الدُّعاءِ: وِجـدانُ حلاوةِ العبادةِ فيه، وهي منزلةٌ يطلبُها المؤمنُ، ويسـعى إليها؛ وقد ذكـر النَّبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلاوةَ الإيمانِ في قولـه: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حلاوةَ الإيمانِ...» الحديث، رواه البخاريُّ ومسلم.

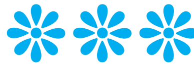
وجعلَ للإيمانِ طَعمًا فقال: «ذاقَ طَعمَ الإيمانِ مَن رضيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ رسولًا»، رواه مسلم.

وذَوْقُ حـلاوةِ الدُّعـاءِ يكـونُ بكثـرةِ الثنـاءِ علـى الله، وإظهارِ الفقرِ والحاجةِ إليه، والخلوةِ بمناجاتِه، وليس ذلك مقصورًا على وقتٍ بعينه؛ وإن كان الليلُ، وآخرُه على وجه الخصوص، من أفضـلِ أوقاته، وإلّا فإنَّ الدَّاعي يُناجي ربَّه في أيِّ ساعةٍ من ليلٍ أو نهار، قائمًا أو ساجدًا.

ويجـدُ الدَّاعي هذه الحـلاوةَ حين يتأمَّـلُ في عظمةِ الله، وكمالِ صفاتِه، وسَعةِ إحسانِه،

وحيـن يسـتحضِرُ مِنَّةَ اللهِ عليه بإسـلامِه، وكثـرةَ نِعَمِه، وتتابُعَ خيراتِه.

إنَّ هـذه المعـاني وغيرها لَحَرِيَّـةٌ بأن تُـورِثَ القلبَ لذَّةَ المناجاة، وحُبَّ الإقبالِ على الدُّعاءِ.



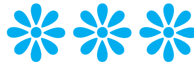
(٧٢) الدُّعاءُ وانشراحُ الصَّدرِ

مِـنْ ثمراتِ الدُّعاءِ المُعجَّلةِ لصاحبِها: انشـراحُ صدرِه، وسـعادةُ روحِه عند الدُّعاءِ، ونزولُ السَّكينةِ والطمأنينةِ فيه؛ وهو مطلبٌ نفيسٌ يحرصُ عليه كلُّ واحدٍ منّا.

ونيـلُ هذا المطلـبِ إنّما يكـونُ عند اجتمـاعِ القلبِ في الدُّعـاءِ، والتأمُّلِ في صفـاتِ اللهِ الكاملةِ؛ من سَـعةِ رحمتِه، وكمـالِ قدرتِه على إجابةِ كلِّ مَن دعاه، وحُسـنِ ثوابِه على هذه العبادةِ، ورضاه عن أهلِها.

ويزدادُ صدرُ العبدِ انشـراحًا حين يرى هـذا التوفيقَ من ربِّه، والاصطفاءَ لمناجاتِه، ويؤمِّلُ الثمرةَ المباركةَ لدعواتِه؛ لأنَّـه علـى يقيـنٍ أنَّ اللهَ لا يُضيـعُ عملَه، وأنَّ كرمَـه وجودَه ولطفَه يُحيطُ به وهو يدعوه ويُناجيه.

فانظـرْ إلى ثمراتِ هذه العبادةِ الشـريفةِ المباركةِ في هذا الانشراحِ الذي ينشده العالمُ أجمع، فالزمْ غرزَها، وكُنْ من أهلِها الصادقين المخلصين.



(٧٣) اغْتِنَامُ سَاعَةِ إِقْبَالِ القَلْبِ عِنْدَ الدُّعَاءِ

يَدْعُو الدّاعي في بعضِ ساعاتِ اللّيلِ والنّهار، فيجدُ من قلبِه إقبالًا على الله، ويشعرُ بقُربِ ربِّه منه، ويوقنُ بسماعِه له، ويعظُمُ رجاؤه في القَبول، وهذا الشُّعورُ مِنْ أجلِّ المشاعر، وتلك اللّحظاتُ مِنْ أَنفَسُ اللّحظاتِ التي ينبغي للدّاعي أن يَغتنمَها؛ ليزيدَ في الطّلَب، ويجتهدَ فيها بالصِّدق، ويُوقِظَ جَذوةَ الإخلاص، ويُعظِّمَ الرَّغبةَ في مطالبه.

وهي مِنْ أرجى أوقاتِ الإجابة، خاصَّةً إذا كان في حالِ الخلوة، وذَرَفَت معه الدَّمعة، وتجرَّد القلبُ من كلِّ شيء.

إنَّ هذه المرتبةَ إنَّما يصلُ إليها العبدُ مع كثرةِ الطاعات، ومجاهدةِ النَّفس على تركِ المعاصي، والسَّعي في سلامةِ الصدر؛ لأنَّها حالةٌ شريفة، ومرتبةٌ منيفةٌ لا يبلغُها أيُّ أحد.

فاسْألْ ربَّكَ بلوغَها، وتعرَّضْ لنفحاتِ المولى؛ فإنَّ لله ساعاتٍ مباركةً لا يردُّ فيها سائلًا، ولا يُخيِّبُ فيها طالبًا.

(٧٤) ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾

حياةُ المرءِ لا تَبقى على حالٍ، ودَوامُ الحالِ من المُحال، فالدُّنيا دارُ تَقَلُّبٍ؛ تُسِرُّ يومًا وتُحزِنُ آخَر، وليس للعبدِ فيها إلّا التَّسليمُ لقضاءِ اللهِ وقدرِه، وكما أنَّ العبدَ يتعبَّدُ للهِ بالشُّكر في الرَّخاءِ، فإنَّه يتقرَّبُ إليه بالصَّبر والرِّضا عندَ البلاءِ.

وتمرُّ بالعبدِ كُرباتٌ يظنُّ أنَّ فيها الهلاك، فإذا الفرجُ يقترب، وإذا الشدَّةُ تزول، وإذا الألمُ ينقلب أملًا، والتعبُ يغدو راحةً وطمأنينة؛ ذلك أنَّ اللهَ رحيمٌ بالعباد، لطيفٌ بهم.

وإيمانُ العبدِ بأنَّه لا يُفرِّجُ كربَه إلّا الله، ولا يكشفُ الضُّرَّ إلّا هو، عبادةٌ جليلةُ القدر، عظيمةُ الأثر، وهي من أعظمِ أسبابِ رفعةِ الدرجات، ونيلِ رضا الله.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يثني على ربِّه كثيرًا، ومن ذلك قولُه: «والشَّرُّ ليسَ إليك». رواه مسلم.

فكلُّ قضاءٍ يقضيه الله لعبِده خيرٌ، وهذه عقيدةٌ يعتقدُها المؤمن، وإيمانٌ يملأ جوانحَه، وسكينةٌ تسكن نفسَه.

ولا يُجيبُ المضطرَّ إذا نزل به كربٌ إلّا الله، ولا يكشفُ البلوى إلّا هو؛ فلا يعودُ الغائبُ إلّا بإذنِه، ولا يتعافى المريضُ إلّا إذا قدَّر ولطف، ولا يهتدي الضالُّ إلّا إذا أراد اللهُ بعبدِه خيرًا، فأحسِنِ الظنَّ بالله، وادعُه وأنتَ مستحضِرٌ كمالَ فضلِه، وسعةَ رحمته، وكثرةَ عفوِه، وجميلَ لطفِه، وأنَّ تقديرَه للأمور فوقَ تقديرات البشر.

اللهم آمَنَّا بفضلِك، وتعلَّقت قلوبُنا بك، وتجرَّدت عن المخلوقين، فالطُف بنا يا لطيف، وأكرمْنا يا كريم، وهبْ لنا من رحماتِك الواسعة، وارزقْنا من رزقِك، يا وهّابُ يا منّان.



(٧٥) الدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ

مِـن علاماتِ سـلامةِ القلـبِ: محبَّةُ الخيرِ للمسـلمين، والدُّعـاءُ لهـم في حضورِهم وغيابِهـم، وقد مـدحَ اللهُ أهلَ الإيمانِ بهذه الخصلةِ في كتابِه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

والدُّعاءُ للمؤمنين هَدْيُ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام؛ فقـد دعا نـوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كمـا في قولِه تعالـى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

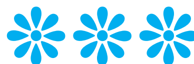
ودعـا إبراهيـمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فقـال: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وأمَـرَ اللهُ نبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالاسـتغفارِ للمؤمنين، فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

فإذا رأيتَ من نفسِـك أنَّك تدعـو للمؤمنين والمؤمنات كثيـرًا، فاحمدِ اللهَ على هذا التوفيق، واثبُتْ على هذا النَّهجِ القويـم؛ فهذا مِن أوضحِ دلائلِ سـلامةِ القلبِ، ومن أعظمِ أسـبابِ نيـلِ الأجرِ الجزيـل، وقـد رُوي في الحديث: «**مَن استغفَرَ للمؤمنينَ والمؤمناتِ كتَبَ اللهُ له بكلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ حسنةً**». رواه الطبراني.

وفي الدُّعـاءِ للمؤمنين بـراءةٌ من الأنانيَّـة، ومحبَّةٌ للخيرِ لهم، وهي خِصالٌ شريفةٌ لأهلِ الإيمان.

بل إنَّ الدُّعاءَ للغيرِ دواءٌ للقلب؛ فإذا وجد العبدُ في صدرِه شيئًا على أخيه، فليدفعْه بالدُّعاءِ له؛ فإنَّ ذلك أزكى للقلب، وأبعدُ عن نزغاتِ الشيطان، وأعظمُ أجرًا عند الله.



(٧٦) وَلَكَ بِمِثْلٍ

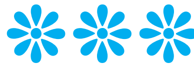
النُّفوسُ الطيِّبةُ تُحبُّ لغيرِها من الخيرِ ما تُحبُّه لنفسِها، وتكرهُ لها ما تكرهُه لنفسِها، وهي خصلةٌ شريفةٌ إذا تحلَّى بها العبدُ دخلَ بها جنَّةَ الدُّنيا قبل جنَّةِ الآخرة

ودعاءُ المسلمِ لأخيه في ظهرِ الغيب ترجمةٌ صادقةٌ لسلامةِ القلبِ وصفاءِ النَّفس، ودليلٌ على إرادةِ الخيرِ للغير، وإن لم تبلغ المحبَّةُ أعلى درجاتِها

ومن أعظمِ ثمراتِ هذا الدُّعاءِ أن يُؤمِّنَ المَلَكُ عليه، ويدعوَ للداعي بالمثل، والملائكةُ خَلْقٌ لا يعصونَ الله، فدعاؤهم مرجوُّ الإجابة؛ فالداعي لإخوانِه رابحٌ على كلِّ حال، فقد جاء في حديث صفوان؛ وهو ابن عبد الله بن صفوان، قال: قَدِمْتُ الشَّامَ، فأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقالَتْ: أَتُرِيدُ الحَجَّ العَامَ، فَقُلْتُ:

نَعَـمْ، قالَتْ: فَـادْعُ اللهَ لَنَا بخَيْرٍ، فـإنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يقولُ: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْـلِم لأَخِيه بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْـتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِـهِ مَلَكٌ مُـوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بخَيْـرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بهِ: آمِينَ وَلَكَ بمِثْلٍ.»، رواه مسلم.

فلنحـرصْ على الدُّعاءِ لبعضِنا؛ لتعمَّ الخيرات، وتصفو القلوب، وتسلمَ النُّفوس من الغِلِّ والحسدِ والأحقاد.



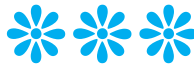
(٧٧) مَا نَصِيبُ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَصْحَابِ الحَوَائِجِ وَالْمَهْمُومِينَ مِنْ دَعَوَاتِكَ

الأمّةُ اليومَ في جملتِها مُستضعفة، وقد انتشرَ فيها الجهلُ، والفقرُ، والحاجةُ، وتعيشُ فُرقةً وخُصوماتٍ سواءً على مستوى الدُّولِ أو الأفراد، والحاجةُ إلى الدُّعاءِ لهم في الجملةِ ظاهرةٌ، سواءً في أمرِ دينِهم أو أمرِ دُنياهم، فكان لزامًا على المسلمِ ألّا يُهمِلَ الدُّعاءَ لها، وللمُستضعفينَ والمحتاجينَ منهم على الخصوص.

والدُّعاءُ للمُستضعفينَ بخاصّة، وللمسلمينَ بعامّة، من دلائلِ رِقّةِ القلب بهم، ورحمتِهم، وحُبِّ الخيرِ لهم، ومن براهينِ سلامةِ الصدر، وكلُّها صفاتٌ يُحبُّها اللهُ من عبدِه.

والدُّعاءُ للمُستضعفينَ يُحيي في النفسِ حُبَّهم، والقُربَ منهم، والسَّعيَ في إزالةِ الألمِ عنهم، وتقديم النفع لهم،

وهـي أعمالٌ يرجو المؤمـنُ برَّها وخيرَهـا وأثَرها وثوابَها، فاجعـلْ نصيبًـا من دعائِك للأمّـةِ وأفرادِها لتنـالَ من ورائِه الأجـرَ العظيـم؛ فأنتَ إذا دعوتَ برفعِ الجهـلِ عنهم فرفعهُ اللهُ كان لـك أجـرُه، وإذا دعـوتَ برفعِ الفقـرِ والعوزِ عنهم فرفعـهُ فرحتَ بهـذا الفضـلِ وكان لك أجـرُه، وإذا دعوتَ للمتخاصميـنَ أن يُؤلِّفَ اللهُ بين قلوبِهم فاجتمعتِ النُّفوسُ شـعرتَ بالسـعادةِ والفَرَح، وهكذا في كلِّ خيـرٍ تكونُ أنت سببًا فيه، وهذا الملحظُ قلّما يتفطّنُ له الكثير.



(٧)

الدُّعاءُ ومَواطِنُ الإِجابَة (٧٨-٩٦)

٧٨. كَثْرَةُ مَواطِنِ الإجابَةِ وأَوْقاتِها مِن دَلائِلِ رَحْمَةِ اللهِ وإِرادَتِهِ كَرامَةَ مَن دَعاه.

٧٩. اجْتِمَاعُ السَّاعَاتِ النَّفِيسَةِ لِلدُّعَاءِ

٨٠. الدُّعاءُ والمَواسِمُ الفاضِلَةُ.

٨١. الصَّلاةُ والدُّعاءُ.

٨٢. الدُّعاءُ عند الأذانِ.

٨٣. الدُّعاءُ بيْنَ الأذانِ والإقامَةِ.

٨٤. الدُّعاءُ في السُّجودِ.

٨٥. الدُّعاءُ في خِتامِ الصَّلاةِ.

٨٦. ساعَةُ الإِجابَةِ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن لَيالِي العَامِ.

٨٧. الدُّعاءُ في جَوْفِ اللَّيْلِ وساعَاتِ السَّحَرِ.

٨٨. يَومُ الجُمُعَةِ والدُّعاءُ.

٨٩. الدُّعاءُ بَيْنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ.

٩٠. الدُّعاءُ في العَشْرِ الأواخِرِ وأَرْجاها لَيْلَةُ القَدْرِ.

٩١. دعاء الصائم مُستجاب.

٩٢. ودعاء المسافر مستجاب.

٩٣. الدُّعاءُ عند نزولِ المطرِ.

٩٤. الدُّعاءُ عند تلاحُمِ الصُّفوفِ والقِتالِ في سبيلِ الله.

٩٥. الدُّعاءُ لِلْمَيِّتِ في الصَّلاةِ عَلَيْهِ وبَعْدَ دَفْنِهِ.

٩٦. الدُّعاءُ وأَذْكارُ الصَّباحِ والمَساء.



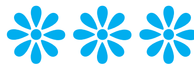
(٧٨) كَثْرَةُ مَواطِنِ الإِجابَةِ وأَوْقاتِها مِن دَلائِلِ رَحْمَةِ اللهِ وإِرادَتِه كَرامَةَ مَن دعاه

فَتَحَ اللهُ لعبادِه بابَ الدُّعاءِ والمُناجاةِ في كلِّ وقتٍ وآنٍ، ولكرامةِ الدُّعاءِ على الله، ورفعةِ منزلتِه عنده، جعلَ أشرفَ الأوقاتِ والأمكنةِ عنده هي أرجاها إجابةً؛ تحفيزًا لاغتنامِها، وترغيبًا فيها، وليظهرَ الراغبُ في عطاءِ الله، الطامعُ في فضلِه، فيتحيَّنُها ولا يُفوِّتُ ما يستطيعُه منها.

ومن هذه الأوقات: الصَّلَاةُ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهَا، وساعاتُ الليلِ كلُّها، خاصّةً جوفَ الليلِ الآخر، وحالَ الصِّيامِ والسَّفر، وعند النداءِ للصَّلواتِ المكتوبة، وبين الأذانِ والإقامة، وعند الإقامة، وعند التحامِ الصُّفوفِ في المعركة، وعند نزولِ الغيث، وعند شُربِ زمزم، ويومَ الجمعة خاصّةً من دخولِ الخطيب حتّى انقضاءِ الصَّلاة، وآخرَ ساعةٍ منه،

ودعاءُ الناس بعد قبضِ روحِ الميّت، والدُّعاءُ عند المريض، ودعــوةُ المظلــوم، ودعــاءُ الوالــد لولــدِه، والولــد لوالديه، والدُّعاءُ بعد زوالِ الشَّمس قبل صلاةِ الظُّهر، وغيرُ ذلك من هذه المواطن التي ثبتت في سُنّةِ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذا تأمّلتَ في هذا الشأن وجدتَ رحمةَ الله ظاهرةً؛ فانظر كيـف جعلَ مواطنَ الإجابـة بهذه الكثرة، فمــن فاتَه موطنٌ اغتنــم آخر، وكلُّ ذلك من إرادةِ الخيــر بالعباد، فاغتنم هذا الفضل من ربّك.



(٧٩) اجتماعُ الساعاتُ النفيسةُ للدُّعاءِ

تجتمعُ للمؤمن ساعاتٌ نفيسةٌ للدُّعاءِ في آنٍ واحدٍ، حقٌّ عليه أن يستغلَّها أحسنَ استغلال، ومن هذه الساعات ساعاتٌ عُمريّة، قد لا تمرّ عليه إلّا مرّةً واحدةً في العمر، كحال الحاجّ إلى بيتِ الله الحرام -على فرض أنّه لن يحجّ إلّا مرّة- فبين يديه دعاءُ الطَّواف، (واستحبابُ الدعاءِ في الطوافِ باتفاقِ المذاهبِ الفقهيّةِ الأربع)، والدُّعاء على الصَّفا والمروة في السَّعي، ودعاءُ الوقوف بعرفة، وما أدراك ما دعاءُ عرفة؛ فهي مواطنُ للدُّعاءِ المستجاب[١].

والدُّعاء في مزدلفة، وعند الجمرات؛ فهذه مواقف قد لا تتكرّر على صاحبها، فحريٌّ بمن وُفِّق للحجّ أن يغتنمَها أحسنَ اغتنام[٢].

(١) (انظر كتابي: طريقُك إطالةُ الدُّعاءِ يومَ عرفة).

(٢) (انظر كتابي: الحجّ وروحُ العبادة فيه).

وهناك الدُّعاء في عبادةِ العمرة: في الطَّواف، وعلى الصَّفا والمروة في السَّعي، وبمكّة بوجهٍ عام[1].

وهناك ساعاتٌ للدُّعاءِ تتكرّر كلَّ أسبوع، كساعة الجمعة، وساعاتٌ يوميّة؛ منها: عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، ومنها ساعاتُ الليل كلُّها، والدُّعاءُ عند الشدّة والكرب ونحوها.

وهناك أوقاتٌ يجتمع فيها أكثرُ من سببٍ تُرجى معه الإجابة، كأن يكون الإنسان مسافرًا وصائمًا، وفي آخر ساعات يومِ جمعةٍ منتظرًا الصَّلاة؛ فاجتماعُ مثل هذه الأسباب للصادق في طلبِ مرضاةِ الله وفضلِه يدعوه إلى أن يغتنم.

فاغتنمها أيّها الموفّق، وأحضِر قلبَك إذا دعوت، وعظّم رجاءك بربّك، وأحسن الظنّ به، واثنِ عليه، وصلِّ على نبيّك، وادعُ بقلبٍ خاشعٍ حاضر؛ فهي أسبابٌ قلّما يُردّ معها الدُّعاء.

---

(١) (انظر كتابي: العمرة والرِّحلة الإيمانيّة).

(٨٠) الدُّعاءُ والمَواسِمُ الفاضِلَةُ

مِـن المعلـومِ أنَّ اللهَ فضَّل بعـضَ الأزمنةِ علـى بعضٍ، وجعلَ لها مزيَّةً في الشَّريعةِ، تُضاعَفُ فيها الحسناتُ، وتُقال فيها العثرات، ومن أشرفِ هذه المواسمِ شهرُ رمضان، ولا سيَّما العَشْـرُ الأواخرُ منه، وكذلك عَشْـرُ ذي الحجَّةِ، فهي خيرُ أيّامِ الدُّنيا.

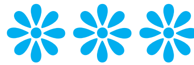
ومـع تعظيمِ المسـلمينَ لهـذه المواسـمِ في الجملةِ، إلّا أنَّ اللهَ يختُّـص فيهـا أقوامًـا بتوفيقٍ ظاهـرٍ، فتراهم يملؤون أوقاتَهم بالطاعـاتِ، ويُنوِّعون القُرُباتِ من تلاوةٍ، وصلاةٍ، وذِكـرٍ، وبذلِ إحسـانٍ وصدقـاتٍ، ونفعٍ لعبـادِ اللهِ؛ حرصًا على اغتنامِ فضلِها.

ولعـل من أعظمِ أسـبابِ هـذا التوفيقِ: الدُّعاءُ بسـؤالِ اللهِ بلوغَ هذه المواسِـمِ، ثم سـؤالُه العَونَ فيهـا؛ فينالُ العبدُ

من الخيرِ والتيسـيرِ ما يسرُّه عند انقضائِها، ويؤمِّلُ به عظيمَ الأجرِ عند لقاءِ ربِّه.

وكثيرٌ من الناسِ يعرِفون فضلَ رمضانَ وعشرِ ذي الحجَّةِ، ولكنَّ القليلَ من يُوفَّق فيها للطاعةِ، ولعلَّ من أسبابِ ذلك قلَّةَ الدُّعاءِ، وكثرةَ الذُّنوبِ؛ فاجتهدْ أن تُكثِرَ من الدُّعاءِ قبل بلوغِها وفي أثنائِها؛ لتفوزَ بالخيرات.

فاللَّهُمَّ تولَّ أمرَنا، وأعِنَّا على طاعتِك، ووفِّقنا لكلِّ خيرٍ، واعفُ عنَّا، واغفِرْ لنا، وارحَمْنا؛ إنَّك أنتَ الغفورُ الرحيمُ.



(٨١) الصَّلاةُ والدُّعاءُ

الصَّـلاةُ من أعظـمِ المواطـنِ المباركةِ لإجابـةِ الدُّعاءِ؛ إذ يَتخلَّلُهـا الدُّعـاءُ في مواضعَ كثيرةٍ: في الاسـتفتاحِ، وأثناءِ التِّلاوةِ، وفي الرُّكوعِ، والرفعِ منه ثناءً ودُعاءً، وفي السُّـجودِ، وبين السَّـجدتَينِ، وفي ختامِ الصَّـلاةِ، فيخرجُ المصلِّي وقد ابتهـلَ لربِّـه، ورفعَ إليه دعـواتٍ كريماتٍ، وغالبًـا ما يكونُ حضـورُ القلبِ في دعاءِ الصَّلاةِ أبلغَ من غيرِه؛ فحريٌّ اغتنامُ هذا المقامِ الشَّريفِ.

وإذا كان المصلِّـي في الفريضةِ لا يُطيلُها غالبًا، إمامًا كان أو مأمومًا، فإنَّ بابَ النَّافلةِ مفتوحٌ له، ولا سيَّما صلاةُ اللَّيلِ؛ فيُطيلُ فيها ما شـاء، خاصَّةً في السُّـجودِ وقبلَ السَّلامِ، فهما من آكدِ مواطنِ الإجابةِ.

وإذا صلَّى نافلةً بين الأذانِ والإقامةِ اجتمعت له أسـبابٌ

كثيـرةٌ لإجابةِ الدُّعاءِ؛ فاغتنِمْ هذه الفرصـةَ، فلعلَّ كثيرًا من دعواتِك التي استُجيبت كانت في الصَّلاةِ.

ومـن تأمَّل سُـنَّةَ النَّبـيِّ ﷺ وجده عظيـمَ العنايةِ بالدُّعاءِ في صلاتِه؛ فإذا اسـتفتح دعا دعـواتٍ جامعةً، ومن ذلـك قوله: «**اللَّهُمَّ باعِـدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَـايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِـنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّـوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِـلْ خَطَايَـايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**». رواه البخاري.

وقولـه ﷺ: «**اللَّهُـمَّ رَبَّ جِبْرِيـلَ، وَمِيكَائِيـلَ، وَإِسْـرَافِيلَ، فَاطِـرَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِـمَ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَـادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**». رواه مسلم.

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». رواه مسلم.

وإذا ركع قال: «اللهمَّ لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشعَ لك سمعي وبصري، ومخِّي وعظمي وعصبي».

وإذا رفع قال: «اللهمَّ ربَّنا لك الحمدُ ملءَ السَّماواتِ وملءَ الأرضِ، وملءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ»

وإذا سجد قال: «اللهمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجدَ وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشقَّ سمعه وبصره، تباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين»

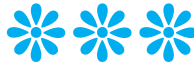
ثم يقول بين التَّشهُّدِ والتَّسليم: «اللهمَّ اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنتَ أعلمُ به منِّي، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ، لا إلهَ إلَّا أنت».

رواه مسلم.

وفي حديثِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: يا رسولَ اللهِ، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل: «اللهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنت، فاغفرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمني؛ إنَّك أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ».

رواه البخاريُّ.

فتأمَّلْ كيف خُصَّت الصَّلاةُ بالدُّعاءِ؛ لِشرفِ مقامِها، فاعتنِ -يا رعاكَ الله- بالدُّعاءِ فيها، وأحسِنِ الوقوفَ بين يدي ربِّك.



(٨٢) الدُّعاءُ عندَ الأذان

ثبت في حديثِ سَهْل بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ، أو قَلَّما تُرَدَّانِ: الدُّعاءُ عندَ النِّداءِ، وعندَ البَأْسِ حين يُلْحِمُ بعضُهم بعضًا». رواه أبو داود، وصحَّحه الألبانيُّ.

وفي لفظٍ آخر: «ساعتانِ تُفْتَحُ لهما أبوابُ السَّماءِ، وقَلَّ داعٍ تُرَدُّ عليه دعوتُه: حينَ يَحضُرُ النِّداءُ، والصَّفُّ في سبيلِ الله». رواه البخاريُّ في الأدب المفرد، وصحَّحه الألبانيُّ.

وروى الحاكمُ عن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا نادى المُنادي فُتِحَتْ أبوابُ السَّماءِ، واستُجيبَ الدُّعاءُ». وصحَّحه الألبانيُّ في صحيحِ الجامع.

وفي حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا نَادَى الْمُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ» رواه الحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»

وقد نصَّ جماعةٌ من أهلِ العلمِ على استحبابِ الدُّعاءِ عند سماعِ الأذان، وجعلوه وقتًا مستقلًّا من أوقاتِ الإجابة، غيرَ الدُّعاءِ بعده.

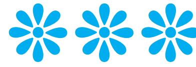
قال البُهوتيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويتحرّى أوقاتَ الإجابة، وهي الثُّلثُ الأخيرُ من اللَّيلِ، وعندَ الأذانِ والإقامةِ، وأدبارَ الصلواتِ المكتوبةِ، وعندَ صعودِ الإمامِ يومَ الجمعةِ على المنبرِ حتّى تنقضيَ الصَّلاةُ، وآخرَ ساعةٍ بعد العصر من يومِ الجمعة) [كشَّاف القناع].

وذكر بعضُ العلماءِ أنَّ ذلك يشملُ وقتَ الأذانِ وما بين الأذانِ والإقامةِ.

قال القاريُّ في شرحِ قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعاءُ عندَ النِّداءِ». أي: (حينَ الأذانِ، أو بعده).

وتأمّل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ، أو قَلَّما تُرَدَّانِ: الدُّعاءُ عندَ النِّداءِ) وكيف جاءَ الترغيبُ في الدعاءِ بهذا الأسلوبِ الرفيعِ.

فالمقصـودُ أنَّ الدُّعاءَ عنـدَ الأذانِ من مواطـنِ الإجابةِ، فاحرصْ عليه، ويُمكنُ للمسـتمعِ أن يجمعَ بين الترديدِ مع المؤذِّنِ والدُّعاءِ بدعواتٍ يسيرةٍ جامعةٍ للخير.



(٨٣) الدُّعاءُ ما بَيْنَ الأَذانِ والإِقامَةِ

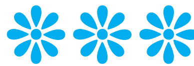
مِـنَ المواطـنِ العظيمةِ للدُّعاءِ في شـأنِ الصَّـلاةِ: ما بَيْنَ الأذانِ والإقامـةِ؛ فقـد قـال رسـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في حديـثِ أنـسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدَّعْوَةُ لا تُرَدُّ بَيْـنَ الأذانِ والإقامةِ؛ فادعوا». رواه أبو داودَ وأحمدُ.

وهـذا من فضائـلِ التقدُّمِ إلـى الصَّلاةِ؛ إذ يُكـرِمُ اللهُ مَن قصدَ بيتَه مبكِّرًا بأن يجعلَ دعاءَه مظِنَّةً للإجابةِ.

والدُّعـاءُ في هذا الوقتِ يكونُ إمَّا داخـلَ صلاةِ نافلةٍ، أو حالَ الجلوسِ انتظارًا للصَّلاةِ، وكلا الحالين داخلٌ في الوعدِ النبـويِّ بإجابةِ الدُّعاءِ، غيرَ أنَّ مَن كان في الصَّلاةِ قد اجتمعَ له أكثرُ من سـببٍ للإجابةِ؛ فلذا ينبغي اغتنامُ هذا الوقتِ في الدُّعاءِ، لا في الأحاديثِ الجانبيَّةِ.

ويُنبَّهُ هنا إلى أنَّ هذه الفضيلةَ ليست خاصَّةً بالرِّجالِ دون النِّساءِ، ولا بمن كان في المسجدِ فقط، بل هي عامَّةٌ لكلِّ مَن أدرك هذا الوقتَ المباركِ؛ لأنَّ الفضلَ متعلِّقٌ بالزَّمانِ ما بَيْنَ الأذانِ والإقامةِ.

فحريٌّ بالمرأةِ أن تستعدَّ للصَّلاةِ قبلَ الأذانِ أو عقبَه مباشرةً، فإذا أذَّنَ المؤذِّنُ صلَّتِ السُّنَّةَ، ثم جلست تدعو في مُصلَّاها بما شاءت حتّى تُقيمَ صلاتَها، ثم تُؤدِّي الفريضةَ؛ فذلك فضلٌ عظيمٌ يغفلُ عنه كثيرٌ من النِّساءِ، ويُفوِّتن به خيرًا كثيرًا.



(٨٤) الدُّعاءُ في السُّجودِ

مَيَّزَ اللهُ عِبادَةَ الصَّلاةِ بمزايا لم يجعلْها لغيرِها من العبادات، ومن ذلك كثرةُ مواطِنِ إجابةِ الدُّعاءِ فيها –وقد تقدّم هذا قبل قليل–، ولعلَّ من أعظمِ مواضعِ الدُّعاءَ فيها حال السجود.

ففي حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ وهو ساجِدٌ، فأَكْثِروا الدُّعاءَ**». رواه مسلم.

وجاء في حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**...وأمَّا السُّجودُ فاجتهدوا فيه في الدُّعاءِ؛ فإنَّه قَمِنٌ أن يُستجابَ لكم**». رواه مسلم.

وقولُه: «**قَمِنٌ أن يُستجابَ لكم**» أي: جَديرٌ، وحقيقٌ، وحَرِيٌّ أن يُستجابَ لِمَن دعا في سُجودِهِ.

فأظهَرُ ما يكونُ من ذِلَّةِ العبدِ لربهِ حينما يضعُ جبهتَه وأنفَه على الأرضِ ساجدًا لله، خاضعًا بين يديه، ومِنْ ثَمَّ يكون تعلُّقُ القلبِ بالله ظاهرًا، واتصالُه به بيِّنًا، ويشعرُ الداعي بالخلوةِ بالله، خاصَّةً في ساعةِ السَّحَر، التي تصفو فيها الروحُ لمناجاةِ الربِّ سبحانه.

ولذا ينبغي على الداعي في السجود استجلابُ الخشوع، واغتنامِ هذا العطاءَ من الرحمن في استجابةِ الدُّعاءِ، وهذا الإقبالُ من النفس وذلُّها لربِّها، وصدقُ سؤالِها.

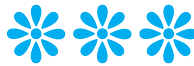
وَقَدْ وَرَدَتْ أَدْعِيَةٌ فِي هٰذَا الرُّكْنِ مِنَ الصَّلاةِ عَلَى الخُصوصِ، يَنبغي لَكَ حِفْظُها، فمن ذلك: (سُبحانَكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدِكَ، اللهمَّ اغفِرْ لي)

وقوله: (اللهمَّ اغفِرْ لي ذنبي كلَّه؛ دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوَّلَهُ وآخرَهُ، وعلانيتَهُ وسِرَّهُ)

وقوله: (اللهمَّ اغفِرْ لي ما أسررتُ وما أعلنتُ)

وقولـه: (اللهمَّ أَعُوذُ برضاكَ من سـخطِكَ، وبمعافاتِكَ من عقوبتِكَ، وأَعُوذُ بـك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ)

ولـه أن يدعو بما شـاء، فالدُّعاءُ هنا مطلـقٌ، وهو أقربُ المواطن للإجابة.



(٨٥) الدُّعاءُ في خِتامِ الصَّلاةِ

جَعَلَ اللهُ خِتامَ الصَّلاةِ موطنًا مُباركًا من مواطنِ إجابةِ الدعاءِ، ففي حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعدما علَّمَهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّشهُّدَ في الصلاةِ، وفيه: «...ثمَّ يَتخيَّرُ من الدعاءِ أعجبَهُ إليه، فيدعو» رواه البخاريُّ.

فينبغي للمصلِّي أن يعتني بهذا الموضعِ، خاصَّةً في صلاةِ النافلةِ التي يمكنه فيها الإطالةُ، فيدعو فيها بما شاء، وقد وردتَ في هذا الموضعِ خاصَّةً أدعيةٌ ثابتةٌ، من ذلك:

❊ (اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ من عَذابِ جَهَنَّمَ، ومن عَذابِ القَبْرِ، ومِن فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ، ومن شَرِّ فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجَّالِ) رواه مسلمٌ.

❊ (اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ والمَغْرَمِ) رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

* (اللهمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ) رواه أبو داودَ.

* (اللهمَّ حاسِبْني حِسابًا يَسيرًا) رواه أحمدُ.

* (اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ ما عَمِلْتُ، ومِن شَرِّ ما لَم أَعْمَلْ) رواه مسلم.

* (اللهمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي ظُلْمًا كَثيرًا، ولا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أَنْتَ، فاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِن عِندِكَ، وارْحَمْني؛ إنَّكَ أَنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ) رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

* (اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وأَعُوذُ بكَ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ الدُّنيا، وأَعُوذُ بِكَ مِن عَذابِ القَبْرِ) رواه البخاريُّ.

* (اللهمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، وما أَسْرَفْتُ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ) رواه مسلمٌ.

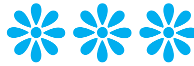
* (اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ يا اللهُ بِأَنَّكَ الواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الّذي لَم يَلِدْ ولَم يُولَدْ، ولَم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لي ذُنوبِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ). وجاء في فَضْلِ هذا الدُّعاء قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ» ثلاثًا، رواه أبو داودَ والنَّسائيُّ، وصحَّحه الألبانيُّ.

وله أَنْ يَدْعُوَ بما شاء، خاصَّةً في صلاةِ النَّافِلَةِ بين الأذانِ والإقامةِ، وغيرها مِن صلواتِ النوافلِ الّتي يمكنُ للمصلِّي أَنْ يُطيلَ فيها ما شاء، وفي حديثِ أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قيل: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الدعاءِ أسمَعُ؟

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَوْفَ اللَّيلِ الآخِرِ، ودُبُرَ الصَّلواتِ المكتوباتِ». رواه الترمذي، وحسَّنه الألباني.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ودُبُرَ الصَّلواتِ المكتوباتِ)؛ أي: الدعاءُ في آخِرِ الصلواتِ الفرائضِ.

وقد اختلف أهلُ العلم في معنى الدُّبر هنا؛ فقيل: هو آخِرُ الصَّلاةِ بعدَ التَّشهُّدِ وقبلَ التَّسليمِ، وَقِيلَ: المُرادُ به ما يكونُ بعدَ التَّسليمِ، ولعلَّ الأقربَ قبلَ السَّلامِ؛ فإنَّه لم يُنقَلْ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المداومةُ على الدُّعاءِ بعدَ السَّلامِ، بخلافِ قبلِهِ، ولكن لا بأسَ أن يدعو أحيانًا بعدَ السَّلامِ.



(٨٦) ساعَةُ الإجابَةِ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن لَيالِي العَامِ

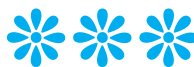
رحمةُ اللهِ بعبادِه ظاهرةٌ، وصُوَرُ إرادتِه الخيرَ لهم لا تُحصى، ومن ذلك ما جعله من ساعاتٍ تكونُ إجابةُ الدُّعاءِ فيها أقربَ؛ ليغتنمَها الطالبون، ومن هذه السَّاعاتِ ساعاتُ اللَّيلِ، ولم يخصَّها سبحانه بليالٍ معيَّنةٍ، بل جعلَها في كلِّ ليلةٍ؛ سَعةً في جودِه، وكمالًا في كرمِه، فقد أخرجَ مسلمٌ من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنَّ في اللَّيلِ لَساعَةً لا يُوافِقُها رجلٌ مسلمٌ، يَسألُ اللهَ خيرًا من أمرِ الدُّنيا والآخرةِ، إلَّا أَعطاهُ إيَّاهُ، وذلك كلَّ ليلةٍ».

وقد أُبهِمَت هذه السَّاعةُ، ولم يَرِدْ تحديدُها؛ ليظهرَ الصادقُ في طلبِها، المتعرِّضُ لرحمةِ ربِّه ومرضاتِه، وليبقى العبدُ مُداومًا على سؤالِ ربِّه في كلِّ ليلةٍ، وفي ذلك من تعلُّقِ القلبِ باللهِ ما لا يخفى.

قال بعضُ أهـلِ العلم: «والتَّنكيرُ في قولـه: ﴿إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً﴾ يُفيدُ أنَّ شأنَها عظيمٌ، ينبغي الترقُّبُ لها»، ولِذا تَرى الطَّامِـعَ في فضلِ اللهِ يحرصُ على الدعاءِ في سـاعاتِ الليلِ كلَّما سنحتْ له فرصةٌ؛ فإذا صلَّى العشاءَ دعا، وكذا في صلاةِ الليـلِ، وعندَ نومِه، وكلَّما تقلَّبَ على فراشِـه، ويخصُّ آخرَ سـاعاتِ الليلِ بمزيدِ اجتهادٍ؛ فهي أرجى الساعاتِ لإجابةِ الدعاءِ، وأقربُها لنيلِ العطاء.

واللَّيلُ في غالبِ سـاعاته وقتُ سـكونٍ وخلوةٍ باللهِ، فأثرُ الدُّعاءِ والمناجاةِ فيه على القلوبِ عظيمٌ.

فدونَكَ يا عبدَ اللهِ، ودونَكِ يا أَمَةَ اللهِ، ساعاتٌ تحلو فيها المناجاةُ، ويستشـعرُ الدَّاعي فيها قربَ ربِّه؛ فاجعلوها دعاءً وابتهالًا، وطلبَ هدايةٍ، ورغبةً صادقةً في الاستقامةِ.



(٨٧) الدُّعاءُ في جَوْفِ اللَّيْلِ وساعَاتِ السَّحَرِ

جاء عند النَّسائيِّ من حديثِ عَمْرو بنِ عَبَسَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه سأل النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: هل مِن ساعةٍ أَقرَبُ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ من غيرِها؟ فقال: «نَعَم، جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ».

وجوفُ اللَّيلِ الآخِرُ هو ثُلُثُه الأخير، ويُعرَفُ بتقسيمِ اللَّيلِ من غروبِ الشَّمسِ إلى طلوعِ الفجرِ ثلاثةَ أقسامٍ، فيكونُ الثُّلثُ الأخيرُ هو وقتُ السَّحَرِ، وهو أَشرفُ ساعاتِ اللَّيلِ.

وفي هذه السَّاعةِ يكونُ النُّزولُ الإلهيُّ الذي يليقُ بجلالِ اللهِ وكمالِه، من غيرِ تشبيهٍ ولا تكييف؛ يقولُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حين يبقى ثُلثُ اللَّيلِ الآخِرُ، فيقول: مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يسألني فأُعطيَه؟ مَن يستغفرني فأغفرَ له؟». رواه البخاريُّ.

وهــذا النُّزولُ يكــون كلَّ ليلةٍ وذلك مِن سَــعةِ رحمةِ اللهِ بعبادِه، ممَّا يبعثُ النُّفوسَ على اغتنامِ هذا الوقتِ الشَّريفِ، والحرصِ عليه ولو باليسيرِ منه.

وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على ذِكرِ اللهِ فيه فقال: «أقربُ ما يكونُ الرَّبُّ من العبدِ في جوفِ اللَّيلِ الآخِرِ، فإن استطعتَ أن تكونَ ممَّن يذكرُ اللهَ في تلك السَّاعةِ فكن». رواه الترمذيُّ.

ومــن آثَرَ القيامَ والمناجاةَ في هذه السَّــاعةِ، دلَّ ذلك على صدقِ محبَّتِه لربهِ وإخلاصِه له في عَملِه؛ إذ لا يطَّلعُ عليه فيها إلَّا اللهُ، ولــذا كانتِ المكافأةُ عظيمةً بإجابتــه دعاءَه، ويجدُ الدّاعــي من الأُنــسِ واللَّذَّةِ في هذه المناجــاةِ ما لا يُوصَف، ويُذيقه اللهُ إيمانًا يجدُ حلاوتَه في قلبِه، وقُربًا منه لا ينالُه من فوَّتَ هذا الفضلَ وفرَّطَ فيه.



(٨٨) يَومُ الجُمُعَةِ والدُّعاءُ

يَــومُ الجُمُعَــةِ يَــومٌ عظيمٌ، فَضَّلَــهُ اللهُ على ســائرِ الأَيَّامِ، وخَصَّــهُ بخصائــصَ لــم يجعلْهــا لغيــرِه، ولعــلَّ مِــن هذه الخصائصِ والفضائلِ أنَّ فيه ساعةَ إجابةٍ، يستجيبُ اللهُ فيها دعاءَ مَن دعاه، وهذا من كرمه الواسع، وفضله العميم، ففي حديثِ أَبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَكَرَ يَومَ الجُمُعَةِ، فقال: «**فيه ســاعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مســلمٌ وهو قائمٌ يُصلِّي، يَســألُ اللهَ تعالى شــيئًا، إلَّا أَعطاهُ إيَّاهُ**»، وأشــار بيده يُقلِّلُها.

وقولُــه: «**يُوافِقُها**» أي: يُصادِفُهــا، ويقصِدُها، ويتحرَّاها بالدُّعاءِ؛ وفي ذلك دلالةٌ على أنَّه ينبغي للمســلِمِ تحرِّي هذه السَّــاعةِ واغتنامَها، فإنَّ الحريــصَ عليها أَولى بالانتفاعِ بها، بخلافِ مَن لا يُلقي لها بالًا، إمَّا لجهلِه بفضلِها، أو لتفريطِه بعدَ العِلمِ.

وقد اختُلِفَ في تحديدِ وقتِ هذه السَّاعةِ على أقوالٍ كثيرةٍ، أَقواها قولانِ:

* الأوَّلُ: أنَّها مِن جُلوسِ الإمامِ على المنبرِ إلى انقضاءِ صلاةِ الجُمُعَةِ.

* والثاني: أنَّها بعدَ صلاةِ العصرِ.

فهاتان الساعتانِ أرجى ساعاتِ الإجابةِ في هذا اليومِ المبارك، فمَن أَحضرَ قلبَه عندَ دعاءِ الخطيبِ وداخلَ صلاةِ الجُمُعَةِ فهو أَحرى بالقبولِ من غيرِه، فينبغي العنايةُ بهذا الوقتِ والحالِ.

وأمَّا السَّاعةُ الثَّانيةُ فهي مِن بعدِ صلاةِ العصرِ إلى غروبِ الشَّمسِ، فلو تفرَّغَ المؤمنُ بعضَ الأيَّامِ للدُّعاءِ والصَّلاةِ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحصلَ له الخيرُ الكثيرُ، فإن شقَّ عليه فلا أَقَلَّ مِن التفرُّغِ للدُّعاءِ آخِرَ ساعةٍ قبلَ الغروبِ، ولو بدقائقَ، فإنَّه يُحصِّلُ فيها خيرًا كثيرًا.

قال الإمـام أحمد بن حنبـل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أكثرُ الأحاديثِ في السَّاعةِ التي تُرجى فيها إجابةُ الدُّعاءِ بعدَ صلاةِ العصر) رواه عنه ابنه عبدُ الله في «مسائل الإمام أحمد» [٢/ ٢٧٣].

وانظـرْ إلى كرامةِ اللهِ لهذا السـائل يَـومَ الجُمُعَةِ في قولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسألُ اللهَ تعالى شيئًا إلَّا أَعطاهُ إيَّاهُ».

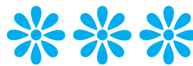
فقوله: «شـيئًا» دالٌّ على العمومِ، فلا تسـتعظم سـؤالًا، فأنتَ تسألُ ربًا كريمًا.

وقولـه: «إلَّا أَعطاهُ إيَّاهُ» فيه ضمان الإجابة، وفي هذا من الإكرام ما فيه.

فاغتنـمْ هذه السَّـاعاتِ والأوقاتِ، واجمـعْ قلبَك على الدُّعاءِ، وسَـلْ ربَّكَ مطالبَكَ كلَّها، واسـألْه أَنفَسَها وأرفعَها مِـن الهدايـةِ والتوفيـقِ لمرضاتِه، وسَـلْهُ مِن خيـرِي الدُّنيا والآخـرةِ، ولا تسـتكثرْ طلبًـا؛ فربُّكَ كريمٌ، يُعطـي بلا عَدٍّ، ويَرزقُ بغيرِ حسابٍ.

وكم مِنْ مؤمنٍ كان موعدُ إجابتِه يَومَ الجُمُعَةِ، فتحقَّقَ له ما يرجوه، وما كان يُؤمِّلُه، وتيسَّرت له كثيرٌ من أمورِه.

وفي تفريغِ الوقتِ للدُّعاءِ يَومَ الجُمُعَةِ هدايةٌ للقلبِ وصلاحٌ له، فلا تجعلْ عبادةَ الدُّعاءِ للمطالبِ المُجرَّدةِ فقط، بل اجعلْها لطلبِ صلاحِ القلبِ، وزيادةِ الإيمانِ، والطَّمعِ في رضا الرحمن.



(٨٩) الدُّعاءُ بَيْنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ

وهو من أوقاتِ الإجابةِ التي جاءت بها الآثارُ عند طائفةٍ من أهلِ العلم، ممَّن رأَوا العملَ بحديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ رُويَ عنه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا في مسجدِ الفتحِ ثلاثَ مرّاتٍ: يومَ الاثنين، ويومَ الثُّلاثاءِ، ويومَ الأربعاء، فاستُجيبَ له يومَ الأربعاءِ بين الصَّلاتين، فعُرِفَ البِشرُ في وجهِه.

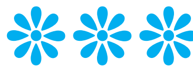
قال جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلم يَنزِلْ بي أمرٌ مُهِمٌّ غليظٌ إلَّا توخَّيتُ تلك السَّاعةَ، فأدعو فيها، فأعرفُ الإجابةَ». رواه أحمدُ.

وقد عَمِلَ بهذا الحديثِ جمعٌ من أهلِ العلم؛ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد إيرادِه الحديثَ: «وهذا الحديثُ يعملُ به طائفةٌ من أصحابِنا وغيرِهم، فيتحرَّون الدُّعاءَ في هذا الزَّمان، كما نُقِلَ عن جابر، ولم يُنقَلْ عنه أنَّه تحرَّى الدُّعاءَ في المكان، بل في الزَّمان». [اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/ ٣٤٤].

والعمـلُ بهذا الحديث قال بـه جمعٌ من كبار أهلِ العلم المعاصرين.

فالمقصودُ تحرِّي الدُّعاءِ في هذا الزَّمان، وهو يومُ الأربعاءِ بين الظُّهرِ والعصـر، لا التقيُّدُ بمكانٍ بعينِه؛ ولذا فلو تحرَّى العبدُ هذا الوقتَ أحيانًا فلا حرجَ عليه.

وتأمَّـلْ قولَ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلم يَنـزِلْ بي أمرٌ مُهِمٌّ غليظٌ إلَّا توخَّيْـتُ تلك السَّـاعةَ، فأدعـو فيها، فأعـرفُ الإجابةَ»؛ وَهُـوَ ثَمَرَةُ صِـدْقِ الإِيمَانِ بِحَدِيثِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَمَالِ الإِخْلَاصِ لِصَاحِبِهِ، وإتيانِ أسبابِ الإجابةِ، فحَسَنٌ بالمؤمنِ أن يعملَ بهذا الأثرِ على سـبيلِ الرجاءِ، واللهُ واسعُ الفضلِ كريمُ العطاءِ.



(٩٠) الدُّعاءُ في العَشْرِ الأواخِرِ وأَرْجاها لَيْلَةُ القَدْرِ

لمّا كانت العَشْرُ الأواخِرُ من رمضانَ وقتًا مباركًا، شُرِعَ فيها مضاعفةُ الجهدِ في الأعمالِ الصالحةِ، ومنها: الدُّعاءُ.

وأهلِ العلمِ جميعًا على استحبابِ الدُّعاءِ في هذه العَشْرِ، ولا سيَّما في لياليها؛ إذ فيها ليلةُ القَدْرِ، وهي ليلةٌ مباركةٌ بنصِّ القرآنِ، ومن بركتِها استجابةُ الدُّعاءِ.

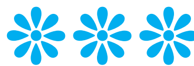
ولذلك لمّا قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرأيتَ إن وافقتُ ليلةَ القَدْرِ، ما أقولُ فيها؟ قال: «قولي: اللهمَّ إنَّك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي». رواه الترمذيُّ وصحَّحه.

فوجَّهها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الدُّعاءِ، تنبيهًا إلى أنَّه لُبُّ العبادةِ، ومِثلُ هذه الفرصةِ العظيمةِ لا يَليقُ بالمؤمنِ أن يُفوِّتَها في هذه اللَّيلةِ المباركةِ.

قـال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لطائف المعـارف: (وقيامُ ليلةِ القَدْرِ إنما هو إحياؤها بالصلاةِ والتهجُّدِ فيها، وقد أمرَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشةَ بالدُّعاءِ فيها أيضًا).

وقال الشـيخ ابنُ عثيميـن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذه أيضًا من أوقاتِ الإجابةِ: ليلـةُ القَدْرِ، وهي خيرٌ من ألفِ شـهرٍ، وآخرُ اللَّيلِ فيها وقتُ إجابةٍ، وهي مباركةٌ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾) [مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٣/ ٢٠٦)].

ولأنَّ ليلـةَ القَـدْرِ مُتردِّدةٌ في العَشْـرِ الأواخِـرِ كلِّها، كان الدُّعاءُ فيها جميعًا مشروعًا، مرجوَّ الإجابةِ، فحريٌّ بالمؤمنِ أن يُكثِـرَ فيه من الابتهالِ، ويغتنمَ هـذه اللياليَ العظيمةَ قبلَ فواتِها.



(٩١) دُعاءُ الصَّائِمِ مُستَجاب

لمّا كانت عبادةُ الصِّيامِ في المَرتبةِ العُليا من الدِّين، أكرمَ اللهُ الصَّائمَ بعطايا كثيرة، من أجلِّها: جعْلُ دعائِه مسموعًا، وقريبًا من الإجابة؛ كرامةً له، وتشريفًا لعبادتِه، فقد روى أحمدُ والتِّرمذيُّ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم: الإمامُ العادلُ، والصَّائمُ حتّى يُفطِرَ، ودعوةُ المظلوم...»**.

فقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«والصَّائمُ حتّى يُفطِرَ»**، فيه الدلالةُ الواضحةُ على أنّ ساعاتِ الصِّيامِ كلَّها موطنُ إجابة، لا تختصُّ بلحظةٍ دون أخرى، وهو ما يَغفُلُ عنه كثيرٌ من الصائمين؛ فيظنُّون أنّ الدعاءَ خاصٌّ بوقتِ ما قبل الإفطار فقط.

فزمنُ الصِّيامِ كلُّه زمنُ إجابةٍ؛ فصلاتُك، ودعاؤك بين الأذانِ والإقامة، وسائرُ ساعاتِ يومِك وأنتَ صائمٌ، كلُّها مواطنُ يُرجى فيها القبول.

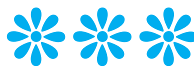
وقد تَجتَمِعُ للصَّائمِ أسبابٌ مُتعدِّدةٌ لإجابةِ الدُّعاءِ؛ كالسَّفرِ في طاعةِ الحجِّ والعُمرةِ، أو صِلةِ الرَّحمِ، فمع اجتماعِ هذه الأسبابِ تكونُ الإجابةُ أرجى.

وإن كان أرجى أوقاتِ الإجابة عند الفِطر، كما جاء في حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ للصائمِ عندَ فِطرِه دعوةً لا تُرَدُّ». رواه ابنُ ماجه.

وقد بيَّن أهلُ العلم أنَّ لفظ (عند) يشمل الحالين جميعًا: قبل الإفطار وبعده، وكلاهما وقتُ فضلٍ وإجابة؛ لما يكون فيه من انكسارِ نفسِ الصائم، وقوَّةِ توجُّهِه إلى ربِّه، وشعورِه بالفقرِ والحاجة.

فينبغي للصائمِ ألّا يُضيِّعَ هذه الفرصةَ العظيمة، فيضعفَ عن الدعاءِ، وقد وُعِدَ بأحسنِ العطاء من ربِّه حالَ صيامِه، وعلى أقلِّ تقديرٍ ألّا يُهدِرَ الوقتَ النفيسَ قبيلَ الإفطار، بل يُفرِغَه للمناجاةِ وسؤالِ الله؛ فهذا زمنٌ شريف، ومقامٌ عظيم، تُرفَعُ فيه المطالب، وتُقضَى فيه الحاجات.

وأعظمُ ما يكونُ الدعاءُ حالَ صيامِ الفرضِ في شهرِ رمضان؛ فقد ذكرَ اللهُ تعالى آيةَ الدعاءِ بين آياتِ الصِّيام، ترغيبًا فيه وتنبيهًا على عظيمِ شأنه، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فدلالتُها واضحةٌ على مكانةِ الدعاءِ، وعِظَمِ أثرِه، وشرفِ وقتِه في هذا الشهرِ المبارك.



(٩٢) ودُعاءُ المُسافِرِ مُستَجاب

قد تقدَّم مرارًا بيانُ كثرةِ مظاهرِ كرامةِ الله لعبادِه، وكيف جعلَ لهم مواطنَ كثيرةً لإجابةِ الدعاء، ومنها: حالُ سفرِ العبد؛ فقد ورد في سننِ الترمذيِّ وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ: وذكر منها، -دعوةُ المسافِرِ-...».

فأخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ هذه الدعوات مستجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ، ليحرص عليها الحريص، ويغتنمها الموفَّق.

والسفرُ مظنَّةُ التعبِ والحَزنِ لمفارقةِ الأهل، ومظنَّةُ شعورِ المسافِرِ بحاجته إلى الأمانِ والإعانةِ والسداد، وحاجته إلى الحمايةِ والرعاية.

وقد علم الله ذلك وغيره من حال عبادِه، فرحمهم بأن جعل دعاءهم في السفر مستجابًا؛ تطييبًا لقلوبهم، وتخفيفًا لمشقَّتهم.

ولا غِنى للناس عن السفر بحالٍ من الأحوال، إمّا لمقاصدِ الرزق، أو غيرِها من شؤونِ الحياة.

والأسفارُ تختلف، ولا شكَّ أنَّ أفضلَها ما كان في طاعةِ الله؛ وهذه الطاعاتُ أيضًا تتفاوت، فمنها ما يعظُم زمانًا ومكانًا، كالسفرِ للحج أو العمرة، أو للجهاد، أو لطلبِ العلم، أو لصلةِ الرحم؛ فمثلُ هذه الأسفار يُرجى أن يُكافئَ الله صاحبَها بإجابةِ دعائه.

فحريٌّ بمن قدَّر الله له سفرًا في طاعةٍ، أو حتى سفرَ نزهةٍ مباح، أن يُكثِر من الدعاء، ويغتنم هذا الحال، ويرجو فضلَ الله وإحسانه.

ومن الموفَّقين من يغتنم اجتماع أسباب الإجابة له، كأن يكون مسافرًا حال صيامه في سفر طاعة كعمرة أو حج، ويكون يومَ جمعة، ويدعو في صلاةٍ أو بين الأذان والإقامة، فيجتهدُ في الدعاء ليدركَ هذا الفضلَ العظيم من ربِّه.

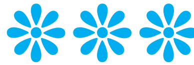
(٩٣) الدُّعاءُ عند نُزولِ المَطَرِ

جاء في حديثِ سهلِ بنِ سعدٍ مرفوعًا: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثِنتانِ ما تُرَدَّانِ: الدُّعاءُ عندَ النِّداءِ، وتحتَ المطرِ». رواه الحاكمُ في المستدرك، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٠٧٨)

ووقتُ نُزولِ الغيثِ وقتُ فضلٍ ورحمةٍ من اللهِ على عبادِه، وتوسعةٍ لهم بأسبابِ الخيرِ، وهو مظِنَّةٌ لإجابةِ الدُّعاءِ.

وقد كان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدعو عند نُزولِ المطرِ؛ ففي الصحيحِ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا رأى المطرَ قال: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نافِعًا». رواه البخاريُّ، وفي لفظٍ لأبي داود: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا». وصحَّحه الألبانيُّ.

فنُزولُ المطرِ وقتُ استبشـارٍ، وطَمَـعٍ في فضلِ اللهِ الذي أغـاثَ الأرضَ بهـذا الماءِ المبـاركِ؛ فيحسُـنُ بالمؤمنِ أن يُكثِرَ فيه من الدُّعاءِ، مع إحسـانِ الظنِّ بسَعةِ عطاءِ اللهِ وكثرةِ فضلِه، حرصًا على نَيلِ بركتِه وخيرِه.



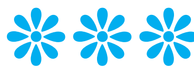
(٩٤) الدُّعاءُ عند تلاحُمِ الصُّفوفِ والقِتالِ في سبيلِ الله.

لمّا كان الجهادُ من أشــرفِ أعمالِ المؤمنين، وهو ذِروةُ سَنامِ الإسلام، عظَّم اللهُ شأنَه، ووعد القائمين به خيرًا كثيرًا، ومن ذلك ما عجَّله لهم من دَعوةٍ مُســتجابةٍ، ولا ســيَّما عند تلاحُمِ الصُّفوفِ واشــتدادِ البأس، فقد جاء في حديثِ سَهْلِ بنِ سَــعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رســولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثِنْتَانِ لا تُــرَدَّانِ، أو قَلَّما تُرَدَّانِ: الدُّعاءُ عندَ النِّداءِ، وعندَ البَأْسِ حين يُلْحِمُ بعضُهم بعضًا». رواه أبو داود، وصحَّحه الألبانيُّ.

فهــذا المقامُ مقامُ صدقٍ وبذلٍ، لا يُقــدِمُ عليه إلَّا مَن آثَرَ اللهَ وقدَّم نفسَــه ابتغاءَ مرضاتِه؛ ولِعِظَمِ هذه العبادةِ، كان من فضلِ اللهِ علــى أهلِها أن جعلَ الدُّعاءَ فيهــا أرجى للإجابةِ، إكرامًا لهم، وجزاءً على إخلاصِهم وتضحيتِهم.

وممَّا يُرجى به الفضلُ كذلك: الدُّعاءُ للمجاهدين ممَّن لم يُتَحْ له شرفُ الجهادِ، فالدُّعاءُ لهم نُصرةٌ، ومشاركةٌ في الأجرِ بحسبِ الصِّدقِ والإخلاصِ، وحَملٌ لهمِّ إخوانِه، وقد قال أهلُ العلم: (إنَّ مَن صدقَت نيَّتُه بلَغَ بنيَّتِه ما لم يبلُغْه بعملِه).

فاحرِصْ على الدُّعاءِ للمجاهدين في سبيلِ الله، الساعين لنُصرةِ دينِه، والذَّابِّين عن حياضِ الإسلامِ وأهلِه؛ فلعلَّ اللهَ أن يجعلَ في دعواتِك نُصرةً لهم، وثوابًا وأجرًا كريمًا.



(٩٥) الدُّعاءُ لِلمَيِّتِ في الصَّلاةِ عَلَيْهِ وبَعْدَ دَفْنِهِ

مَحاسِنُ شَريعةِ الإِسلامِ وكَمالُ تَعاليمِها لا حَصْرَ لها، ومِنها ما يَتَعَلَّقُ بِشأنِ الدُّعاءِ؛ فَقَدْ شَرَعَ اللهُ الصَّلاةَ على المَيِّتِ، وجَعَلَ مَقْصودَها الأَعْظَمَ الدُّعاءَ له، والحَثَّ على الإِخلاصِ والنُّصْحِ فيه، ففي حديثِ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذا صَلَّيْتُم على المَيِّتِ فأَخْلِصوا له الدُّعاءَ**». رواه أَبو داودَ.

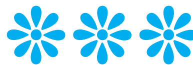
فإِذا صُلِّيَ عليه، وحُمِلَ إلى موضِعِ دَفْنِه، ووُورِيَ في التُّرابِ، سُنَّ الوقوفُ على قَبْرِه، والدُّعاءُ له بالمَغفِرةِ والتَّثبيتِ عندَ سُؤالِ المَلَكَينِ في القَبْرِ.

فيا لِكَمالِ هذا الشَّرعِ، ويا لإِحسانِه إلى أَتْباعِه، ويا لِرَحْمَةِ اللهِ بعبدِه المُسلِمِ؛ فالمَيِّتُ قدِ انتهتْ حياتُه في الدُّنيا، ولا يَشعُرُ بما يكونُ حولَه، فيأتي الأَمرُ بالإِحسانِ إليه. فانظُرْ

كيف يُكرِمُ الإِسلامُ أَتْباعَه أَحياءً وأَمواتًا؛ فاللهمَّ لك الحمدُ على نِعْمَةِ الهِدايةِ لهذا الدِّينِ العظيمِ.

وهذا موطِنٌ من مواطِنِ الدُّعاءِ الَّتي يَنبغي العِنايةُ بها؛ فيَدعو المُسلِمُ لأَخيه بصدقٍ وإِخلاصٍ، يَرجو له الرَّحمةَ، والسَّلامةَ من العذابِ، والنَّجاةَ من فِتنةِ القَبْرِ.

والجَزاءُ عندَ اللهِ مِن جِنسِ العَمَلِ؛ فمَن أَخلَصَ لإِخوانِه في هذا الموضعِ الَّذي هم فيه أَحوَجُ ما يكونونَ إِلى الدُّعاءِ، سَخَّرَ اللهُ له مَن يَدعو له إِذا فارَقَ الدُّنيا، وسُجِّيَ بينَ أَيدي المُسلِمين للصَّلاةِ عليه.



(٩٦) الدُّعاءُ وأَذْكارُ الصَّباحِ والمَساءِ

إذا تأمَّلتَ أذكارَ الصَّباحِ والمَساءِ وجدتَها تجمعُ بين الدُّعاءِ والتَّحصينِ، فهي دعواتٌ جامعةٌ عظيمةٌ مباركةٌ، إذا كُتِبَ للعبدِ القَبولُ فيها نالَ بها الحمايةَ والسَّلامةَ، وصُرِفَ عنه تسلُّطُ الشيطانِ وشرورُه.

ففيها التَّعوُّذُ باللهِ مِن جميعِ الشُّرورِ، واللُّجوءُ إليه في طلبِ الحفظِ والرِّعايةِ من الآفاتِ كلِّها، وفيها أعظمُ دعاءٍ للاستغفارِ، وهو سيِّدُ الاستغفارِ، وفيها الدُّعاءُ بالسَّلامةِ والعافيةِ في أَغلى ما يملكُ المرءُ: دينِه ودنياه، وأهلِه ومالِه، وسؤالُ السِّترِ، وأمنُ الرَّوعاتِ، والطُّمأنينةُ ممَّا يُخيفُه.

ولأهمِّيَّةِ هذه الأدعيةِ، وشدَّةِ حاجةِ العبدِ إليها، كان النَّبيُّ ﷺ **يُحافظُ عليها**، كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هؤلاءِ الدَّعواتِ

حين يُمسي وحين يُصبِح، اللَّهُمَّ إنِّي أَسألُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسألُكَ العفوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ وأهلي ومالي، اللَّهُمَّ استُرْ عورتي -وفي لفظ عوراتي- وآمِنْ رَوْعاتي، اللَّهُمَّ احفظْني مِن بين يديَّ، ومِن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومِن فوقي، وأعوذُ بعظمتِكَ أن أُغتالَ مِن تحتي». رواه أبو داودَ والنَّسائيُّ.

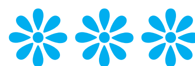
فتأمَّلْ قولَ ابنِ عُمَرَ: «لم يكن رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هؤلاءِ الدَّعواتِ»؛ ففيه دلالةٌ واضحةٌ على شدَّةِ حرصِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الأذكارِ، ودوامِ محافظتِه عليها صباحًا ومساءً.

وفي أذكارِ الصَّباحِ والمَساءِ كذلك الاستعاذةُ من شرِّ النَّفسِ، ومن شرِّ الشيطانِ، ومن الوقوعِ في المعاصي، أو التعدِّي على الحُرماتِ، أو الإضرارِ بالآخرين، ففي حديثِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قلتُ: يا رسولَ اللهِ، مُرْني

بكلماتٍ أقولُهنَّ إذا أَصبحتُ وإذا أَمسيتُ، قال: قُل: «اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّــماواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ، ربَّ كلِّ شــيءٍ ومليكَه، أشــهدُ أن لا إلهَ إلَّا أنت، أعوذُ بك مِن شــرِّ نفسي، وشرِّ الشيطانِ وشِركِه، وأن أَقترفَ على نفسي سوءًا، أو أجرَّه إلى مسلمٍ». رواه أبو داودَ.

فهذه الأدعيةُ وغيرها ممَّا ورد في أذكارِ الصَّباح والمَساءِ تحصينــاتٌ ربَّانيَّــةٌ، ودعواتٌ مبــاركاتٌ، يُحصِّــلُ بها العبدُ خيرًا كثيرًا ممَّا يرجوه، ويُدفَعُ عنه شرٌّ كثيرٌ ممَّا يخشاه، متى ما حافظَ عليها وداومَ على ترديدِها.

فاعتــنِ بها يا عبدَ الله، واعتني بها يا أَمَةَ الله؛ فإنَّ القلوبَ أحــوجُ ما تكونُ إلى هذه الدعواتِ، والنُّفوسَ أفقرُ ما تكونُ إلى هذه التحصيناتِ.



(٨)

أدْعِيَةٌ جَامِعَةٌ ذَاتُ مَنْزِلَةٍ وَشَأْن (٩٧-١١١)

٩٧. ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾

٩٨. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾

٩٩. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

١٠٠. رَبِّ، أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ.

١٠١. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١٠٢. (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ)

١٠٣. دُعَاءُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ.

١٠٤. دُعَاءُ الوَلَدِ لِوَالِدَيْهِ.

١٠٥. وَدَعْوَةُ الإِمَامِ العَادِلِ.

١٠٦. سُؤَالُ اللهِ العَافِيَةَ.

١٠٧. سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ.

١٠٨. (وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الحَمْدُ لِلَّهِ).

١٠٩. الدُّعَاءُ بِوَصْفِ الحَالِ.

١١٠. ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

١١١. ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾



(٩٧) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تأمَّلتُ أنفعَ الدُّعاءِ، فإذا هو سؤالُ العَونِ على مَرْضاته، ثمَّ رأيتُه في الفاتحةِ في قولِه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾).**

فهذا دعاءٌ عظيمُ القَدر، رفيعُ المكانة، قد أوجبَه اللهُ على عبادِه في كلِّ ركعةٍ من ركعاتِ الصَّلاة، رحمةً بهم؛ إذ هو من أعظمِ ما يحتاجُه العبدُ في حياتِه.

وإذا تأمَّلتَ كلامَ ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجدته كلامًا متينًا عميقًا؛ فالعبادُ إنَّما خُلِقوا لعبادةِ الله، وهذه العبادةُ لا يُعانُ عليها على وجهِها الأكملِ إلّا اللهُ سبحانه، فمن أُعين على عبادةِ ربِّه وُفِّق، وسَعِد، وأفلح.

وإذا دعا العبدُ ربَّه بهذا الدعاءِ بقلبٍ حاضر، واستشعارٍ صادقٍ بالحاجة، لم يتسرَّب إلى قلبِه العُجب، ولم يركن إلى نفسِه، بل يتوجَّه إلى ربِّه توجُّهًا كاملًا، وهذا هو عينُ ما

أمرَ اللهُ به عبدَه، وبه ينالُ رضاه.

وطلبُ الاستعانة لا يستغني عنه أحدٌ مهما علا قدرُه، وحالُ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ أعظمُ برهانٍ على ذلك؛ فهم لا يستغنون عن معونةِ ربِّهم طرفةَ عين، فما الظنُّ بمن هو دونهم!؟.

والعبدُ محتاجٌ إلى معونةِ اللهِ في كلِّ شأنٍ من شؤونِه، وفي كلِّ حالٍ من أحوالِه، وقد جاءت نصوصُ الكتابِ والسُّنَّة بالتأكيد على هذا المعنى، ومن ذلك الدعاءُ المشهور: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عبادتِكَ».

فاجعلْ هذا الدعاءَ من أولى دعواتِك؛ فإنَّ في طلبِ العون تحقيقَ التوحيد، وإفرادَ القلبِ بالالتفاتِ إلى اللهِ وحده، وحُسنَ الظنِّ به؛ فالمستعينُ بربِّه قد أيقنَ بسَعةِ فضلِه، ودوامِ إحسانِه، فلذلك يسأله المعونةَ على الدوام؛ لئلّا ينقطعَ عنه الخير.

(٩٨) ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

دعاءٌ عظيمُ الشأن، أوجبَه اللهُ على عبادِه في كلِّ ركعةٍ من الصَّلاة، فلا تصحُّ صلاةُ عبدٍ إلّا به؛ ليبقى العبدُ دائمَ الصِّلة بربِّه، مستشعرًا فقرَه إليه، مُقِرًّا بحاجتِه الماسَّة إلى هدايتِه في كلِّ حين.

وأوَّلُ ما يُفيده هذا الإيجابُ: أنَّ العبدَ لا غِنى له عن الهداية طرفةَ عين، بل هي أعظمُ ما يحتاجُه في حياتِه كلِّها.

وثانيه: أنَّ الهدايةَ مطلبٌ نفيسٌ، من وُفِّقَ إليه فقد فازَ بخيرٍ كثيرٍ، واجتمعَ له الفضلُ كلُّه.

وثالثه: أنَّ في فرضِ هذا الدُّعاءِ رحمةً بالغةً من الله؛ إذ ألزمَ عبادَه بسؤالِ ما لا يقومُ دينُهم إلّا به، ولا تستقيمُ حياتُهم إلّا معه.

ورابعُه: أنَّ الهدايةَ ليست مرتبةً تُنال ثم يُستغنَى عنها، بل هي زيادةٌ متجدِّدة، وترقٍّ دائم، قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧].

وقـد جاءت الدَّعوةُ إلى سـؤالِ الهداية في مواضعَ كثيرةٍ مـن سُـنَّةِ النَّبـيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ يعلِّمُهـا أمَّتَـه، ويحثُّهـم على دوامِها، لعلمِه بعظيمِ حاجتِهم إليها.

وإذا تأمَّلتَ حالَ العبدِ وجدته أحوجَ ما يكونُ إلى الهداية في شؤونٍ لا تُحصى؛ فهو محتاجٌ إليها في دينِه، وهو أجلُّ ما يملـك؛ فانظر إلى من حُرِمَ نـورَ الإيمان، وتأمَّل كيف امتنَّ اللهُ عليك بالهدايةِ والاجتباءِ.

ومحتـاجٌ إلى الهداية في التزامِ الشـرائع؛ فانظر إلى حالِ من فرَّط وضَيَّع الأوامرَ، وكيف ثبَّتك اللهُ عليها.

ومحتاجٌ إليها في فكرِه ورأيِه وقراراتِه؛ فانظر إلى من حارَ واضطرب، وكيف ألهمك اللهُ الرُّشدَ والصواب.

ومحتاجٌ إليها عند ورودِ الشُّبهاتِ والفِتن؛ فانظر إلى من عاش في قلقٍ وحيرة، وكيف طمأنَ اللهُ قلبَك باليقين، وغير ذلك من أنواعِ الهداياتِ التي لا يُستغنَى عنها.

فلزومُ الدُّعاءِ بالهداية من أعظمِ الدَّعوات، وأوجبِ المطالب؛ فدَاوم عليه وأنتَ مُفتقِرٌ إليه، صادقٌ في طلبِه، وأيقن أنَّ من هُدي في الدُّنيا ثبَّته اللهُ في الآخرة، وكفى بذلك فضلًا ومنَّةً وعطاءً، قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾﴾ [محمد:٤-٥] فَهَداهُم في الدُّنيا إلى خَيرِ الأَعمال، ويَهدِيهِم في الآخرةِ إلى الجَنَّة؛ فصارتِ الهِدايةُ أَفْضَلَ العَطايا، أَوَّلُها في الدُّنيا تَوفيقًا ورُشدًا، وخاتِمَتُها في الآخرةِ جَنّاتِ النَّعيم.

(٩٩) ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

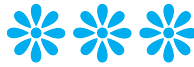
وهذا من أجمَعِ الدُّعاءِ في القرآن، وأكملِه معنى، وأوسعِه شمولًا؛ إذ جمع خيري الدُّنيا والآخرة في كلماتٍ يسيرة، لا يستغني عنها عبدٌ في حالٍ من أحواله، وقد ذكره اللهُ في كتابه فقال: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١]

وفي الصَّحيحِ عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان أَكثَرُ دُعاءِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

وكان أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أَرادَ أن يَدعوَ لِنَفْسِه أو لغيرِه دعا بهذه الدَّعوة؛ لِما فيها مِن الجَمْعِ والشُّمولِ.

فينبغي للعبدِ أن يجعلَها مِن دَعواتِه الدَّائمةِ، وإن ضاقَ به الوقتُ اكتفى بها؛ لأنَّها تَجمعُ خَيْرَيِ الدُّنيا والآخِرَةِ.

وحَسَنَةُ الدُّنيا تَشمَلُ كُلَّ صَلاحٍ تَرجوه، وكُلَّ رِزقٍ تَطلبُه، وكُلَّ توفيقٍ تَأمَلُه، وأمّا حسنةُ الآخرة فهي الفوزُ بالجنَّة ونعيمِها المقيم، والسَّلامةُ من النَّار وعذابِها؛ فاجتمع في هذا الدُّعاءِ الخيرُ كلُّه، واندَرَجَت تحته أعظمُ مطالبِ العباد.



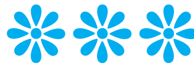
(١٠٠) رَبِّ أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ

أعظـمُ مطالبِ المؤمنِ الفوزُ بالجنَّـةِ، والنَّجاةُ من النَّار، ولمّـا سَـمِعَ الأعرابـيُّ النَّبـيَّ ﷺ ومُعـاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يدعوان بدعواتٍ كثيرة، قال: يا رسولَ الله، أمّا إنّي لا أُحسِنُ دَندنتَـكَ ولا دَندنةَ مُعـاذ، ولكنّي أقول: اللهمَّ إنّي أسـألك الجنَّةَ، وأعوذُ بكَ من النَّار، فقال النَّبيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ». رواه أبو داود.

فبيَّـن ﷺ أنَّ هـذا هو المقصـدُ الأعظم، وأصلُ المطالــب، وغايةُ الغايـات؛ فما عُبِـدَ اللهُ إلّا طلبًـا لرضاه، وابتغاءً لجنَّته، وسلامةً من سخطِه وناره.

وسـؤالُ اللهِ الجنَّـةَ، والاسـتعاذةُ به من النَّـار، من أعظم أسبابِ الفوزِ بهما، وقد ورد في الحديث: «مَن سألَ اللهَ الجنَّةَ ثلاثَ مـرّاتٍ قالتِ الجنَّةُ: اللهمَّ أَدخِلْهُ الجنَّة، ومَن اسـتعاذَ من النَّار ثلاثَ مرّاتٍ قالتِ النَّار: اللهمَّ أَجِرْهُ من النَّار».

وهذا الدُّعاءُ دُعـاءٌ مُثمِرٌ للعمل؛ فطالبُ الجنَّةِ يُكثِرُ من الصالحات، ويجتهدُ في الطاعات، ويرجو الدَّرجاتِ العُلى، والخائفُ من النَّار يتحرَّزُ من الذُّنوب، ويبتعدُ عن أسبابِها، وإن زلَّ بـادرَ إلى التوبـةِ والإنابة، فما أبركَ أثـرَ هذا الدُّعاءِ على صاحبـه، وما أعظمَ نفعَـه في تزكيةِ النَّفس، واسـتقامةِ السُّلوك، وحُسنِ العاقبة.



(١٠١) ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

دعوةٌ عظيمةٌ خلَّدهـا القرآنُ الكريم لنبيِّ اللهِ يُونُسَ عليه الصَّلاةُ والسَّـلام؛ دعا بها في ظلمـاتِ البحرِ وبطنِ الحوت، فسمعها اللهُ السَّـميعُ العليم، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

فانظـرْ إلـى عظمةِ اللهِ، وسَـعةِ سـمعِه، وكمـالِ إحاطتهِ بشؤونِ خلقِه، ولُطفِه ورحمتِه بهم؛ كيف سمع هذه الدعوةَ من عبدٍ في ظلماتٍ ثلاث، ومن فوقِ سبعِ سماوات.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

هي دعــوةُ المكــروبِ، والمهمــومِ، ومــن ضاقت عليه الدُّنيــا، وتتابعــت عليه الهمــومُ والغمومُ، فهي مــلاذُهُ حين يســتقرُّ في قلبِـه اليقينُ، وأنَّه لا مُفرِّجَ للكــربِ إلا الله، فيلزم هــذه الدعــوةَ صدقًا وانكســارًا، فيأتيه الفرج، وتنقشــع عنه الغُمَّة.

وصحّ عن النَّبـيِّ ﷺ في فضلها قوله: «دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فإنَّــه لم يدعُ بها رجلٌ مســلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استجاب اللهُ له» رواه الترمذي.

فانظرْ إلــى هذا الفضلِ العظيم، وهذه البشــارةِ الجليلة: (لم يدعُ بها رجلٌ مســلمٌ في شــيءٍ قطُّ)، فالاستجابةُ عامَّة، تشمل المكروبَ وغيره؛ فادعُ بها في شدائدِك، وفي رخائِك، وفي أمورِ دينِك ودنياك.

۞ وتجتمع في هذه الدعوة معانٍ عظيمة:

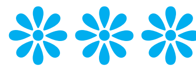
* توحيدُ اللهِ الخالص: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾

* تنزيهُه عن كلِّ نقص: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾

* الاعترافُ بالتقصيرِ والذنب: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

وهذا الاعترافُ الصادقُ من أعظمِ أسبابِ إجابةِ الدعاء؛

فما أبركَ هذه الدعوة، وما أعظمَ أثرَها على قلبِ صاحبِها وحياتِه.



(١٠٢) (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ)

روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ: دعوةُ الوالدِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ المظلوم»

فدعوةُ الوالد دعوةٌ صادقة، نابعةٌ من قلبٍ شفيقٍ رحيم، يحمل همَّ ولده، ويرجو له الخير، واللهُ عليمٌ بهذه الرحمة، فيُكرم هذا القلب الرؤوف، ويُجيب هذا الدعاء الصادق، وإن تأخَّرت بعضُ الإجابات لحكمة.

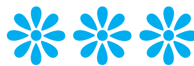
فاغتنامُ هذه النعمة العظيمة من أعظم أبواب الخير ما دام الوالدان أو أحدهما على قيد الحياة؛ فهي فرصةٌ لا تُعوَّض، ولا تُدرَك بعد فواتها.

ومن الدعوات القريبة من الإجابة: دعوةُ المسافر؛ إذ فارق وطنه، وابتعد عن أهله، وغالبًا يكون سفره لمصلحةٍ

أو طاعة، فيُجازيه الله من جنس عمله، ويجعل دعاءه أرجى للقبول.

ومن أعظم هذه الدعوات: دعوةُ المظلوم، الذي سُدَّت في وجهه الأبواب، وضاقت به الحيل، ولم يبقَ له إلا الله، فيدعوه بقلبٍ منكسر، فينصره الله، ويأخذ له حقَّه، وإن تأخَّر ذلك لحكمة.

وليس شرطًا أن تقع الإجابة فورًا؛ فموعدها عند الله العليم الحكيم، غير أنَّ في ذكر هذه الدعوات تحذيرًا شديدًا من الظلم، وتنبيهًا بليغًا إلى خطورته وعظيم عاقبته.



(١٠٣) دُعاءُ الوالِدِ لِوَلَدِه

وقـد تقدَّم التَّنبيـهُ على فضلِه، غيرَ أنَّه أُفـرِدَ بالذِّكر لعظيمِ شأنِه، وجليلِ أثرِه، فالأبناءُ يغلبُ عليهم الجهلُ، وتُحيطُ بهم الفِتَنُ في هذا الزمان، وتجتمعُ حولَهم شياطينُ الإنسِ والجنِّ، فلا غِنى لهم - بعد توفيقِ الله - عن حِضنٍ آمن، وقلبٍ رحيم، وملجأٍ صادقٍ يجدون فيه الاحتواءَ والرِّفق.

وإذا وقـع منهـم خطـأٌ أو زَلَل - وهو واقـعٌ لا محالة - فالواجبُ الصَّبرُ والاحتواءُ، مع عدمِ الرِّضا بالخطأ، وجعلُ أعظمِ وسائلِ التَّقويم: الدُّعاء.

قـال النَّبـيُّ ﷺ: «ثلاثُ دَعَواتٍ مُسـتجاباتٌ لا شَكَّ فيهنَّ... ودَعوةُ الوالِدِ على وَلَدِه». رواه أبو داود والترمذي.

فتأمَّل قولَه ﷺ: (لا شَكَّ فيهنَّ)، فالدُّعاءُ للأبناء من أنفعِ ما يُبذلُ لهم، وأعظمِ أسبابِ صلاحِهم وهدايتِهم؛

فلا مَلَلَ معه، ولا يأسَ، ولا قنوط، بل يُلازِمُه الوالدُ حُسن ظنٍّ بالله، وثقةً بقُربِ رحمتِه.

ومِن تمامِ الحكمة أن يُسمِعَ الوالدان أبناءَهم هذه الدَّعوات؛ ليشعروا بالمحبَّة، ويطمئنُّوا إلى الحرص، ويثقوا بصدقِ النِّيَّة.

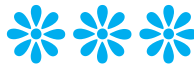
وما أبركَ الدُّعاءَ للأبناء، فقد دعا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لذريَّتِه، فجعل اللهُ النبوَّةَ فيهم، فكان دعاؤه أصلًا لأعظمِ خيرٍ ممتدٍّ، فليكن الدُّعاءُ للأبناء دائمًا، ولا سيَّما في مواطنِ الإجابة، ومِن أجمعِه قولُه تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

قال عِكرِمةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لم يُريدوا بذلك صَباحةً ولا جمالًا، ولكن أرادوا أن يكونوا مُطيعين).**

قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما شيءٌ أقرَّ لعينِ المسلم من أن يرى ولدًا أو قريبًا مُطيعًا للهِ عَزَّوَجَلَّ).

فلا يَنبغي أن يقتصرَ الدُّعاءُ على شؤونِ الدُّنيا، بل يكونُ أعظمُه لأمرِ الآخرة؛ بأن يكونوا صالِحين مُصلحين، من أهلِ الصَّلاةِ والقرآن، دعاةَ خير، ومصابيحَ هُدى وهكذا ممّا هو متعلّقٌ بأمرِ الآخرة، ولا يعني ذلك ترك الدُّعاء لهم في شأن الدُّنيا فهذا مما يحتاجونه كثيرًا، وهو ما تقرُّ به العين.

اللَّهُمَّ أصلِحْ لنا ذُرِّيَّاتِنا، ونيَّاتِنا، وأزواجَنا، واجعلْنا للمتَّقين إمامًا.



(١٠٤) دُعاءُ الوَلَدِ لِوالِدَيْهِ

ثبت في سُنن أبي داود من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلَّا من ثلاثةِ أشياء: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يَدعو له»

وأخرج الإمامُ أحمدُ في مسنده من حديثِ أبي أُمامةَ الباهليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربعةٌ تجري عليهم أُجورُهم بعد الموت: مُرابطٌ في سبيلِ الله، ومَن علَّم علمًا فأُجري له مثلُ أجرِ مَن عمل به، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأجرُها له ما جَرَت، ورجلٌ ترك ولدًا صالحًا فهو يَدعو له».

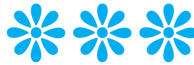
وأخرج ابنُ ماجه من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الله ليرفعُ الدرجةَ للعبدِ الصالحِ في الجنَّة، فيقولُ: يا ربِّ، أنَّى لي هذا؟ فيقولُ: باستغفارِ ولدِكَ لك».

فـلا أبركَ للعبدِ في حياتِه وبعد مماتِه من ولدٍ صالحٍ يرفعُ يديه بالدُّعاء له؛ فيـدرك الوالدَ نفعُ هذه الدَّعوات، ويجري عليه خيرُها وهو في قبرِه.

وقـد حكى لـي أحـدُ الإخـوة الفضـلاء - وكان مؤذِّنًا لأحـد الجوامـع - قال: **(في ليلـةٍ من ليالي العشـر الأواخر مـن رمضان أخلصتُ الدُّعاء لوالـدي المتوفَّى، فأكثرتُ له الدُّعاء وأنـا رافعٌ يديَّ، متوجِّهٌ بقلبي إلى الله توجُّهًا صادقًا، ثم نمـتُ ضُحى اليوم التالي، فرأيتُ والـدي في المنام يُقبِّل يدي كثيرًا، وكأنَّه يقول: وصلني خيرُ دعائك يا بُنيّ).**

ودعـاءُ الولـدِ لوالدَيْـه أقـلُّ ما يُـؤدَّى مـن حقِّهما، في حياتِهما وبعد وفاتِهما، وهو عبادةٌ لا تُكلِّف جهدًا، ونفعُها عظيم، وحاجةُ الوالدَيْن إليها ماسَّـة؛ فلا يُقصِّر العبدُ فيها، وليجعلها من وِرده الدائم.

وليوقـن الولـدُ أنَّ اللهَ يُجـازي العبدَ من جنـسِ عملِه؛ فكما دعوتَ لوالدَيْك، فإنّ اللهَ يُسخِّرُ لك من يدعو لك مِنْ أبنائك وغيرِهم، فلعلَّ دعـوةً صادقةً ترفعُك درجاتٍ عاليةً في جنَّاتِ النعيم.



(١٠٥) ودَعْوَةُ الإِمامِ العادِلِ

أخرج التِّرمذيُّ من حديـثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسـولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ثلاثـةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهـم... والإِمامُ العادِلِ...».

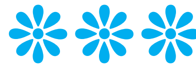
فالإمامُ العـادِلُ قد تبوَّأ منصبًا رفيعًـا، وقام بعملٍ جليلٍ من أشـرفِ الأعمال؛ وهو رعايةُ شؤونِ المسلمين، والقيامُ بمصالحِهم، وإقامةُ العدلِ بينهم.

فـإذا أدَّى هـذه الأمانةَ كما أمـره اللهُ، كافأه سـبحانه بأن جعل دعاءَه مستجابًا، وكفى بذلك فضلًا وثوابًا.

وقـد ذكـر بعضُ أهـلِ العلم أنَّ هـذا الوعـدَ لا يختصُّ بالإمـام الأعظـم وحده، بل يدخـلُ فيه كلُّ مـن تولّى ولايةً أو رعايةً، كلٌّ بحسـب مسؤوليته، سـواءٌ كانت ولايتُه كبيرةً أو صغيـرة. بل يدخلُ فيه الرجلُ في أهـلِ بيته إذا قام عليهم بالعدل، وأدَّى ما أوجبه اللهُ عليه من الرعاية.

فكلٌّ هؤلاء إذا عدلوا، وقاموا بما أُمروا به، وأتوا بأسبابِ الإجابة، واجتنبوا موانعَها، وعدهم اللهُ بإجابةِ الدعاء.

وفي هذا تحفيزٌ عظيمٌ لكلِّ من تولّى ولايةً أن يلتزمَ العدلَ فيها، وتنبيهٌ للرجلِ في بيتِه أن يقوم بحقِّ أهلِه، ويعدلَ بين أولادِه؛ ليكون من أهلِ هذا الفضلِ الكريم.



(١٠٦) سُؤالُ اللهِ العافِيَةِ

أفردتُ هذا المطلبَ لعظيمِ أهميّتِه، وشدّةِ حاجةِ العبدِ إليه؛ فالسَّلامةُ لا يَعدِلُها شيء، والعافيةُ لا يُدانِيها عطاء.

وهي عافيةٌ شاملةٌ لأنواعٍ لا تُحصى، ولعلَّ أعظمَها وأجلَّها: العافيةُ في الدِّين.

فانظر إلى من كفروا بالله كيف يَقدُمون على الآخرة وقد خسروا أغلى ما يملكون: أنفسَهم وأهليهم، فيكون مآلُهم الخلودَ في النار، والعياذ بالله.

وانظر إلى أهلِ البدعِ والانحراف كيف يَلقَون ربَّهم وقد فارقوا الصراطَ المستقيم، ويتبرّأ منهم النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.

وتأمَّل حالَ من يَلقى ربَّه مُصرًّا على الذنوب غيرَ تائبٍ منها؛ فهؤلاء جميعًا سيعرفون يوم القيامة قدرَ العافية، وقيمةَ السلامة من هذه المصائب العظمى التي لا نظيرَ لها.

وتشـملُ العافيـةُ -أيضًـا- العافيـةَ في النفـس، والولد، والأهـل، والمال، والمسـكن، والمركب، وتشـملُ العافيةَ في الفكـر، والعافيةَ مـن الأخلاق المذمومـة، ومن الظنون السيِّئة، ومن الصحبة الفاسدة، وغيرَ ذلك ممّا لا غِنى للعبدِ عنه في دينِه ودنياه.

وقـد كان النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُكثِـرُ مـن سـؤالِ العافيـة، ويحـثُّ أُمّتَه على لزومِها؛** فعـن رفاعةَ بنِ رافعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قـام أبو بكرٍ الصدّيـقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر فبكـى، فقال: قام رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامَ الأوّل على المنبر فبكى، ثم قال: **«سَـلُوا اللهَ العَفْوَ والعافِيَةَ؛ فإنَّه لم يُعطَ أحدٌ بعد اليقين خيرًا من العافية»**. رواه الترمذي.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وما سُـئِلَ اللهُ شـيئًا أحبَّ إليه من أن يُسألَ العافية»**. رواه الترمذي.

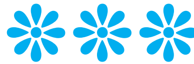
وجـاء العبّـاسُ بـنُ عبـدِ المطّلـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسـأل النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعـاءً خاصًّا، فقال له: «**يا عبّاسُ، يا عمَّ رسـولِ الله، سَـلِ اللهَ العافيَـةَ في الدنيـا والآخـرة**»، وكرَّرهـا عليـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تنبيهًـا لعظيمِ شـأنِها، ودلالةً علـى أنّها خيرُ ما يُسأل.

قال بعضُ أهلِ العلم: **(وفي تكرارِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الوصيّـة دلالةٌ على أنّ العافيةَ أجمـعُ المطالب، وأنَّ الدعاءَ بها يتضمَّن دفاعَ الله عن العبد في دينِه ودنياه).**

ولهذا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلِّم الداخلَ في الإسلام أن يجعل العافيةَ من أوّل دعائه؛ ففي حديثِ أبي مالكٍ الأشجعيِّ عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الرجلُ إذا أسلم علَّمه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصـلاة، ثم أمره أن يدعو بهـذه الكلمات: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**». رواه مسلم.

والآثـارُ في فضلِ سـؤالِ العافية كثيـرة؛ فاجعلها دعاءَك الـلازم، ولا تُفرِّط فيها؛ فمـا أُعطي عبدٌ بعـد الإيمان نعمةً أعظـمَ منها، ولا تدعُ بدعاءٍ إلّا وجعلتَ معه سـؤالَ العافية من ربِّك.

فاللهمَّ عافِنا في كلِّ شأنِنا، واعفُ عنّا، يا عفوُّ يا كريم



(١٠٧) سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ

هكذا سمَّاه أفصحُ الخلق ﷺ؛ لِعِظَمِ شأنِه، وجمعِه معانيَ التوبةِ كلَّها.

ففي حديثِ شدّادِ بنِ أوسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**سَيِّدُ الاستغفار: اللهمَّ أنتَ ربِّي، لا إلهَ إلّا أنتَ، خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتِك عليَّ، وأبوءُ لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلّا أنت، مَن قالها من النَّهار مُوقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهلِ الجنّة، ومَن قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها، فمات قبل أن يُصبح، فهو من أهلِ الجنّة**» رواه البخاري.

وسُمِّي سيِّدَ الاستغفار؛ لأنَّه جمع أصولَ التوبةِ كلَّها:

* **فجمع التوحيدَ الخالصَ في قوله: (لا إلهَ إلّا أنت).**

* والاعترافَ بالعبوديّة في قوله: (خلقتَني وأنا عبدُك).

* والالتزامَ بالعهد في قولـه: (وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ).

* والاسـتعاذةَ من الشـرِّ في قوله: (أعوذُ بك من شـرِّ ما صنعتُ).

* والاعترافَ بالنِّعمة في قوله: (أبوءُ لك بنعمتِك عليَّ).

* والإقرارَ بالذنب في قوله: (وأبوءُ لك بذنبي).

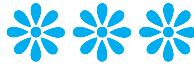
* وطلـبَ المغفـرةِ الكاملـةَ، والاعترافَ بأنَّـه لا يغفرُ الذنـوبَ إلّا اللهُ وحـده في قولـه: (فاغفر لـي؛ فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلّا أنت)، وهذا من أفضلِ ما يكون من الوسائل التي تُرجى معها إجابةُ الدعاء.

ثم جـاءت البُشـرى العظيمةُ بدخـولِ الجنَّـة لمن داوم عليه صباحًا ومساءً، مُحقِّقًا شرطَه الأعظم: اليقينَ وحضورَ القلـب؛ فليس المقصـودُ مجرَّدَ ترديـدِ الألفاظ باللِّسـان،

بل تدبُّـرَ معانيها، واسـتحضارَ مقاصدها، والانكسـارَ بين يدي الله مع كلِّ جملةٍ منها.

فيـا لَفوزِ من لزم هـذا الدعاء، ويا لعظيمِ كـرم الله؛ ذِكرٌ يسير، وأجرٌ كبير، وجزاءٌ هو أعظمُ ما يُطلب: الجنَّة.

اللهـمَّ اجعلنا من المسـتغفرين صدقًـا، والتائبين حقًّا، وأورِثنا برحمتِك منازلَ الصالحين.



(١٠٨) (وأفْضَلُ الدُّعاءِ: الحَمْدُ لِلَّه)

قـال النَّبـيُّ ﷺ: «أفْضَـلُ الذِّكْرِ: لا إلـهَ إلّا اللهُ، وأفْضَلُ الدُّعاءِ: الحمدُ للهِ». رواه الترمذي.

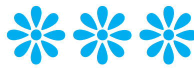
فجعـل ﷺ الحمدَ أفضـلَ الدُّعاءِ؛ لأنَّـه يجمعُ الثنـاءَ على الله، والإقرارَ بنِعمه، والرِّضا بما قَسَـم، وشُكرَ الموجـود، وكلُّ ذلك من أجلِّ عبوديّاتِ القلب التي يُحبُّها اللهُ من عبدِه.

والدُّعـاءُ في حقيقتِـه نوعان: دعاءُ مسـألةٍ، ودعـاءُ ثناءٍ، والحمـدُ ثناءٌ محض، غيرَ أنَّه يتضمَّن في باطنِه سـؤالَ دوامِ النِّعَم وزيادتِها؛ فإنَّ الشُّـكرَ سـببُ المزيد، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ونِعَـمُ اللهِ علـى عبـدِه لا تُحصـى، تتوالى عليـه مع كلِّ نَفَسٍ، وبطلبٍ وبغير طلب، وباسـتحقاقٍ وبغير استحقاق، قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

فإذا أكثر العبدُ من الحمد، امتلأ قلبُه شكرًا، ولسانُه ثناءً، وزادت نفسُه طمأنينةً ورضًا، وكان ذلك من أعظم أسباب ثباتِ النِّعَم وبركتِها.

فأكثِرْ من قول: الحمدُ لله، في السَّرّاء والضَّرّاء، وفي الرِّضا والبلاء، واجعلِ الحمدَ جارِيًا على لسانِك؛ فإنَّها كلمةٌ عظيمة، يسيرةٌ في العمل، ثقيلةٌ في الميزان، مباركةُ الأثر.



(١٠٩) الدُّعاءُ بوَصْفِ الحال

من الوسائلِ المشروعةِ في الدُّعاءِ: أن يَصِفَ العبدُ حالَه لربِّه، ويُظهِرَ فقرَه وضعفَه وحاجتَه؛ من غيرِ اعتراضٍ ولا تسخُّط، بل على سبيلِ الافتقارِ والانكسار.

وقد سطَّرَ القرآنُ هذا النهجَ في دعواتِ الأنبياءِ؛ ليُقتدى بهم، وليُعلَمَ أنَّه طريقٌ مرضيٌّ، يسلكُه المؤمنُ الصادقُ، الطامعُ في مرضاةِ ربِّه.

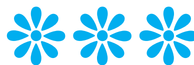
فهذا زكريّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يشكو وحدتَه، ويصفُ حاجتَه، فيقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾، فاستجابَ اللهُ له، وآنسَ وحدتَه، ووهبَ له يحيى نبيًّا.

وهذا أيوبُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد مسَّه الضُّرُّ، يرفعُ شكواه إلى ربِّه بأدبٍ جمٍّ، فيقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فكشفَ اللهُ ما به من بلاء.

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد خرجَ خائفًا جائعًا لا يملكُ شيئًا، فجلسَ في الظلِّ بعد أن فعلَ المعروفَ لوجهِ الله، وسقى للمرأتين، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾؛ فجمعَ في دعائِه بين وصفِ الحال، وصدقِ الافتقار، وحُسنِ الرجاء.

فالدُّعاءُ بوصفِ الحال بابٌ عظيم، تسلكُه - أيُّها المؤمنُ - حين تضيقُ بك السُّبُل، وتضعفُ عن العمل، وتحتارُ في الاختيار، وتشكو مرضًا، أو فقرًا، أو همًّا، أو وجعَ قلبٍ لا يعلمُه إلّا الله.

وإذا صدقَ العبدُ في افتقارِه، فإنَّ ربَّه - وهو العليمُ بحالِه قبل سؤالِه - يتولّاه بلطفِه، ويكشفُ كربَه، ويقضي حاجتَه؛ فإنَّه رحيمٌ، ودودٌ، كريم.



(١١٠) ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

المؤمنُ العارفُ بربِّه يعلمُ أنَّ شكواه لا تُرفَعُ إلّا إليه، وأنَّ همَّه لا يُطْرَحُ إلّا بين يديهِ؛ فهو وحدَه السَّميعُ، المُجيبُ، اللطيفُ بعبادِه.

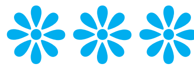
تعجَّبَ أبناءُ يعقوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قوَّةِ أملِه بعودةِ يوسَفَ بعد سنينَ طويلة، فقالوا له: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي: لا تزالُ ملازمًا لِذِكرِه، ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: ضعيفَ الجسدِ والقوَّة، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: آية ٨٥]؛ أي: نخشى عليك الهلاكَ إن استمرَّ بك هذا الحال.

لكنَّ يعقوبَ النبيَّ الكريمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رفع شكواه الخالدةَ إلى ربِّه، فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: آية ٨٦].

فعَـرَفَ لِمَن يَشـكو؛ إذ كان يَعلَمُ مِـنَ اللهِ ما لا يَعلَمون، وقد أيقَنَ بكمالِ لُطفِه بعبدِه، وقُربِ فَرَجِه، ورحمتِهِ بكَشفِ كَربِه، ولقائِه بولدِهِ وفِلذةِ كبدِه؛ فلم تَكُنْ شَـكواه ضَعفًا ولا يأسًـا، بـل كانت دليـلَ كمالِ يقيـنٍ، وتمامِ توكُّلٍ، وحُسـنِ معرفةٍ بالله وقدرتِه.

فاجعـلْ شـكواكَ لربِّك، ولا تُفـرِّقْ همَّك بيـن الخلق، واملأْ قلبَك أملًا؛ فإنَّ قدرةَ الله فوق كلِّ سبب، وأمرَه نافذٌ لا يُغالَب، فإن طالَ البلاءُ، فـاللهُ له الحكمةُ البالغة، وإن تأخَّرَ ما تأمَّلتَ، فاللهُ أرحمُ بك من نفسِك.

ومـا دامَ قلبُك متعلِّقًا بالله، فلن يُخيِّبَـك، ولن يُضيِّعَك؛ فعليك بجميلِ الصَّبر، وحُسنِ الظنِّ، وانتظارِ الفرج، والثِّقةِ بجميلِ العِوَض.



(١١١) ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾

هذا الدُّعاءُ من أصدقِ أدعيةِ الافتقار، وأجمعِها لمعاني الذُّلِّ بين يدي الله، وصدقِ الحاجةِ إليه، وهو أكرمُ ما يُحبُّه اللهُ من عبده.

دعا به نبيُّ اللهِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في حالٍ اجتمعَ فيها الخوفُ، والجوعُ، والغُربةُ، والضَّعف؛ فانظر كيف لجأ إلى ربِّه، فلم يشتكِ إلى أحدٍ، بل أظهر فقرَه المطلقَ إلى ربِّه، وحاجتَه الماسَّةَ إلى فضلِه العظيم.

والمؤمنُ مهما بلغ من المنزلة، أو نال من فضلٍ ورزق، أو حاز من الأسباب، يبقى فقيرًا إلى ربِّه؛ فقيرًا إلى هدايتِه، فقيرًا إلى توفيقِه، فقيرًا إلى حفظِه، فقيرًا إلى سترِه وعافيتِه، فقيرًا إليه في كلِّ شيء.

فالقوَّةُ التي عندك من الله، والغِنى الذي تملكه من الله، والاستقرارُ الذي تعيشه من الله، ولو وكلك اللهُ إلى نفسِك

طرفةَ عينٍ لهلكت.

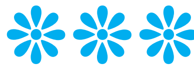
ولهذا كان هذا الدُّعاءُ صالحًا لكلِّ حال.

تدعُو به وأنت تطلبُ رزقًا، أو توفيقًا، أو هدايةً، أو فرجًا، أو عافيةً، أو ثباتًا على الطاعة.

وتدعُو به وأنت ترى نعمَ اللهِ عليك، كما تدعُو به وأنت تشكو نقصَها.

فاجعلْ هذا الدُّعاءَ على لسانِك، واستحضِرْ معناه بقلبِك، واعلَمْ أنَّ اللهَ إذا رأى صدقَ افتقارِك أغناك من حيثُ لا تحتسب، وفتح لك أبوابَ خيرٍ ما ظننتَ يومًا أنَّها تُفتح لك.

فاللهمَّ إنَّا فقراءُ إلى فضلِك وإحسانِك ورحمتِك، فلا تحرمْنا فضلَك؛ فلا غِنى لنا عنه طرفةَ عينٍ، ولا أقلَّ من ذلك.



مُلَخَّصُ الكتابِ

وبعدُ/

فهـذه مِئَـةٌ وَإِحْدَى عَشْـرَةَ وَقْفَةً مع عبـادةٍ هي من أجلِّ العباداتِ وأعظمِها، التي لا يستغني عنها مسلمٌ؛ لما لها من الفضلِ والمكانةِ وجميلِ الأثرِ، ولِفقر العبدِ الدائم إلى ربِّه، وحاجته التي لا تنقطع إلى مولاه.

ولعلَّ القارئَ بعد طوافه في هذه الوقفات قد عرف منزلةَ الدُّعاءِ، وأهمِّيَّتَه، ومقاصِدَه التي يغفل عنها كثيرٌ من النّاس.

وتنبّـه لأهميـة الإخلاصِ فيـه، وفضيلةَ إخفائِه، وشـدَّةَ ارتباطِه بالإيمانِ بأسـماءِ اللهِ وصفاتِـه، وكيف تجلَّت عنايةُ القرآنِ والسُّـنَّةِ بهذه العبـادةِ الجليلة، وذلك ببيـانِ فضلِها، وتعظيمِ شأنِها، وكثرةِ الأدعيةِ الجامعةِ الواردةِ فيهما.

وتبيَّـن له أنَّ الدُّعاءَ مظهرٌ مـن مظاهرِ رحمةِ اللهِ؛ إذ فتح

لعبـاده بابه، ورغَّبهـم فيه، وحثَّهم عليـه، ووعدهم بثمرته، وأنَّه ليس عبادةً عند الشـدائد فقط، بل هو عبادةُ العمرِ كلِّه؛ فاللهُ يغضب على من استغنى عن دعائه، ووصفت السُّنَّةُ أنَّ من هذا شأنُه فهو أعجزُ النّاس.

وبيَّنَ الكتابُ كذلك آدابَ الدُّعاءِ؛ من أهمِّيَّةِ الثناءِ على الله، والصلاةِ على نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّهما من أسبابِ قبوله وتحقُّقِـه، وتبيّـن له ثمرةِ الإلحـاحِ فيه، وضـرورةِ العزمِ في المسـألة، وأهمية حسـنِ الظنِّ بالإجابة، وتركِ الاستعجالِ الذي يُفضي إلى تركه.

كمـا عرَّجَ الكتـابُ على فِقْهِ عبـادةِ الدُّعـاءِ، ومن ذلك ارتباطُه بالقدَر، وأنَّه تُدفَعُ به أقدارٌ مؤلمةٌ كثيرة، مع التحذيرِ مـن الاعتداءِ فيه، والحثِّ على الإكثارِ منه في الرَّخاءِ لِيَنْتَفِعَ به صاحبُه في الشِّدَّةِ، والتنبيهِ إلى أثرِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنكَرِ في إجابةِ الدُّعاءِ.

وأكَّدَ وجـوبَ التوكُّلِ على اللهِ، وتعلُّقِ القلبِ به، وعدمِ الركونِ إلى الأسبابِ الظاهرة، وألَّا يجعلَ الداعي بينه وبين قبولِ دعائه حجابًا أو مانعًا، وألَّا يدعوَ المرءُ على نفسـه أو ماله أو ولده، خاصَّةً في ساعةِ الغضب.

وبيَّنَ أهمِّيَّةَ التوسُّـلِ بالأعمـالِ الصالحة، ومن أعظمِها الإيمانُ باللهِ ورسُلِه، والعملُ الصالحُ الخفيُّ.

وبيَّـن كذلك سِـعَةَ كـرمِ اللهِ، وأنَّه يُحبُّ من عبـدِه كثرةَ الدُّعاءِ، وأن لا يسـتعظِمَنَّ العبدُ شـيئًا يسـألُه ربَّه، وأنّ بابُ الدُّعـاءِ مفتوح، ولا يـدري المرء متى تُجـابُ دعوتُه، فلذا كان لزومه ودوامه من أهم الأمور.

وتأكـد للقارئ أيضًا أنَّ أعظمَ الأدعيةِ هي أدعيةُ الكتابِ والسُّـنَّة، فهـي أجمع الدعـوات وأكملها، مـع الحثِّ على بسـطِ الدُّعاءِ وتنوُّعِه؛ فبه يزداد حضور القلبِ، واستحضار المعنى.

۞ ومن القواعدِ العظيمة في عِبادةِ الدُّعاء:

ألَّا يحمَل العبدُ همَّ الإجابة، بل يحمل همَّ الدُّعاءِ، فإنّه إذا وُفِّق للدعاءِ فقد أراد اللهُ به خيرًا، وأن يستحضِر نعمَ اللهِ عليه وهو يدعو، ويوقنَ أنَّ اللهَ يعطيه الأنفعَ له، ولو رأى أنَّ غيره أفضل.

وعليه أن يستيقن بأنَّ للذُّنوبِ أثرًا في حرمانِ الإجابة فيحذر منها، ويعلم أنَّ هديَ الأنبياءِ في الدعاءِ هو أكملُ الهدي، وأنَّ الدُّنيا ليست دارَ تحصيلِ كلِّ المطالب، وإنَّما اكتمالُها وتمامُها في الدار الآخرة، فلا يكونَ همُّه في الدعاءِ مطالبَ الدُّنيا، فمسائلُ الآخرةِ أنفعُ لصاحبِها، وهي أولى بالعناية.

وإذا أُجيب دعاؤه فإنَّ في هذا زيادةَ اليقين بأنَّ اللهَ سميعٌ مجيب، فيفرح بفضلِ الله، ويزداد إيمانُه بذلك.

ويجعل من التغيُّراتِ في حياته فألًا حسنًا بحسن العاقبة، فإنَّ الله واسعُ الفضل، وفي الدُّعاءِ نيلُ رِضا الله.

ولمَّا كانت حوائجُ العبد لا تنتهي، صار الدُّعاء هو ملاذَه وملجأه، فلذا إذا أصابتك شدَّة فليكن أوَّل ما تفزع إليه الدُّعاء، وكن على يقين أنَّه ما من شدَّةٍ إلَّا بعدها فرج، ولا تستعجل الإجابة، فربما لا يُستجاب دعاؤك إلَّا بعد سنوات، بل ربَّما بعد وفاتك.

وفي عبادةِ الدُّعاءِ ارتباطٌ وثيقٌ بأسماءِ اللهِ الحُسنى وصِفاتِه العُلى؛ فالدُّعاءُ بها مِن أعظمِ أسبابِ قَبولِه.

وقد جعلَ سبحانه مِن أسمائِه اسمًا أَعظمَ، إذا سُئِلَ به أَجاب، وإذا تُوُسِّلَ به أَعطى، وأخفى هذا الاسمَ في أسمائِه؛ لِيَدعوَ العبدُ ربَّه بجميعِ أسمائِه، وإن كانت هناك أسماءٌ هي أرجى أن تكونَ اسمَ اللهِ الأعظم.

ومِن الوسائلِ المهمَّةِ في الدُّعاءِ بأسماءِ اللهِ الحُسنى أن يَجعلَ العبدُ دُعاءَه بكلِّ اسمٍ بما يُناسِبُه؛ فيُقالُ: يا رحيمُ ارحَمْني، ويا عليمُ علِّمْني، وهكذا.

ولأنَّ الدُّعاء عبادةٌ عظيمة، ففيه من العبادات القلبيَّة ما تحيا به القلوب؛ ومن ذلك:

رِضا العبد باختيار ربِّه، وتفويضه أمرَه إليه، وحُسن ظنِّه به، ويقينُه بكمال رحمته، وألَّا ملجأ من الله إلَّا إليه، مع الحرص على اغتنام ساعة إقبال القلب عند الدعاء.

وأكَّدَ الكتاب على أهمِّيَّة حضور القلب في الدعاء، والحذر من الغفلة فيه، والعناية بخشوع القلب، وإظهار الافتقار إلى الله عند مناجاته، وبيَّن الحال التي يتلذَّذ بها الداعي، وينال بها انشراح صدره وسكون نفسه.

كما نبَّه إلى قضيَّة عظيمة، وهي الدعاء للمؤمنين، ولا سيَّما المستضعفين وأصحاب الحوائج والمكروبين؛

فالشعور بهم دليل رحمة، وعلامة سلامة القلب من الأنانيَّة، وبرهان محبَّة الخير للناس، ومن دعا لأخيه فاز بدعوة المَلَك له، وكان له مثل ما دعا به.

وتناول الكتاب مواطن إجابة الدعاء، وبيَّن كثرتَها وتنوُّعَها، وأنَّ هذا من دلائل رحمة الله، وإرادته إكرام من دعاه.

ومن ذلك أنَّ للدعاء ساعات نفيسة ينبغي اغتنامها؛ فذكر منها المواسم الفاضلة، والصلاة بجميع أجزائها، والدعاء بين الأذان والإقامة، ويوم الجمعة، وبين الظُّهر والعصر يوم الأربعاء.

وأمَّا الليل، فقد جعل الله فيه ساعة إجابة، وأخفاها ليظهر صدق الطالبين، وجعل أرجاها جوف الليل وساعات السَّحر.

وشُرِع الدعاء للميِّت في الصلاة عليه وبعد دفنه، وهذا من محاسن الشريعة وكمالها، ومن دلائل رحمة الله بعباده.

ونبَّه الكتاب إلى فضل أذكار الصباح والمساء، لما فيها من دعوات جامعة، فمن لزمها حصَّل خيرًا كثيرًا.

وخُتِمَ الكتاب بأدعية عظيمة القدر، ينبغي للمسلم أن يعتني بها؛ وفي مقدِّمتها دعاء الاستعانة بالله، كما في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وطلب الهداية بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

ومن أَجمع الأدعية قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، فهو جامع لخيري الدنيا والآخرة.

ومن أعظم ما يُسأل: الجنَّة والاستعاذة من النار، فمن داوم عليهما فاز بأعظم مطلوب، ونجا من أكبر مرهوب.

ومن الدعوات الخالدة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فهي من أعظم مفاتيح تفريج الكرب.

ومن الدعوات المستجابة: دعاء الوالد لولده، ودعاء الولد لوالدَيْه، ودعوة الإمام العادل، ودعوة الصائم عند فطره.

ومن الدعوات التي حثَّ عليها الشرع: سؤال الله العافية، فمن لزمها عاش بخير، ومات على خير.

ومن الدعوات المباركة: سيِّد الاستغفار، وهو دعاء موجب لصاحبه الجنَّة إذا لزمه صباحًا ومساءً.

والدعاء بوصف الحال ممّا يُتوسّلُ به لإجابة الدعاء.

ودعاء نبيِّ الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ من دلائل ثقة العبد بربِّه وحُسن ظنِّه به.

ودعاء نبيِّ الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ من أصدق أدعية الافتقار والانكسار بين يدي الله.

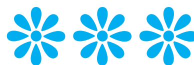
فصــارَ الكِتابُ جامعًا لِمـا تفرَّقَ في هذه العبــادة مِنْ فقهِ معانيها، كاشفًا عن أسرارِها، ومُحفِّزًا للنفوس على لزومِها، ودافعًا لها للمُداومة عليها وعدم هجرِها.

فالدعاءُ جامعٌ لكلِّ خيرٍ يُرتجى، وفي ظلالِه يحيا الإيمان، وبسببِه تُفتحُ الأبواب لبلوغِ المقاصد، وتُنالُ كراماتُ الله في الدنيا والآخرة

وبهذا تــمّ المقصود من الكتابُ والحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات، وصلّى الله وسـلَّم على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبِه أجمعين.

وكانت مراجعته في مدينة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يوم الأحد ٢٩/ ٧/ ١٤٤٧ هجري.



الفهرس

المقدمة ٢

(١) هداياتٌ عامَّةٌ في عبادةِ الدُّعاء (١-١١) ٨

(١) منزلةُ الدُّعاءِ ٩

(٢) الإخلاصُ في الدُّعاءِ ١٢

(٣) مقاصدُ عبادةِ الدُّعاء ١٤

(٤) بين الدُّعاءِ والإيمانِ بصفاتِ الله ١٧

(٥) القُرآنُ الكَريمُ والدُّعاءُ ١٩

(٦) هَدْيُ النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّعاءِ ٢١

(٧) الدُّعاءُ ورحمةُ الله ٢٣

(٨) الدُّعاءُ ووجدانُ حلاوةِ الإيمانِ ٢٥

(٩) لا تَكُنْ أَعْجَزَ النَّاسِ ٢٨

(١٠) غَضَبُ لله على مَن لا يَدعوه ٣٠

(١١) حُبُّ الله للدُّعاءِ ٣٢

(٢) آدابُ الدُّعاءِ (١٢-١٩) ٣٤

(١٢) آدابٌ عامَّةٌ لِلدُّعاءِ ٣٥

(١٣) الثَّنـاءُ على اللهِ تعـالى، والصَّلاةُ على النَّـبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوَّلِ الدُّعاءِ وفي أثنائه ٣٧

(١٤) إخفاءُ الدُّعاءِ ٤٠

(١٥) ادعُ اللهَ وأنتَ مُوقِنٌ بالإجابةِ ٤٣

(١٦) العَزِيمَةُ عند السُّؤالِ ٤٥

(١٧) لا تَستعجِلِ الإجابةَ فتترك الدُّعاءَ ٤٧

(١٨) تَكْرارُ الدُّعاءِ ثَلاثًا ٤٩

(١٩) الإِلْحَاحُ في الدُّعَاءِ ٥٢

(٣) فقه عبادة الدعاء (٢٠-٣٩) ٥٥

(٢٠) الدُّعاءُ والقَدَرُ ٥٧

(٢١) إيّاكَ والاعتداءَ في الدُّعاءِ ٦٠

(٢٢) الدُّعاءُ قبلَ نُزولِ البلاءِ ٦٢

(٢٣) الإكثارُ من الدُّعاءِ وقتَ الرَّخاءِ ٦٤

(٢٤) الإِكْثَارُ مِنْ نَوَافِلِ العِبَادَاتِ مِنْ أَسْبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ ٦٦

(٢٥) الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ وأثرُه في إجابةِ الدُّعاءِ ٦٨

(٢٦) الدُّعاءُ والتوكُّلُ على اللهِ، وعدمُ الرُّكونِ إلى الأسبابِ الظاهرة ٧٠

(٢٧) لا تجعلْ بينكَ وبينَ قبولِ دعائِكَ حجابًا ولا مانعًا ٧٢

(٢٨) لا تَدعُ على نفسِك أو ولدِك أو مالِك ونحوَ ذلك ٧٥

(٢٩) عَمَلُكَ الصَّالِحُ وَالتَّوسُّلُ بِهِ عِندَ الدُّعَاءِ ٧٧

(٣٠) التوسُّلُ إلى اللهِ بالعبوديَّةِ ٨٠

(٣١) التوسُّلُ إلى اللهِ بالإيمانِ عند الدُّعاءِ ٨٢

(٣٢) زِدْ في الدُّعاءِ؛ فإنَّ ربَّكَ يُحبُّ منك هذا ٨٤

(٣٣) عُلُوُّ الهِمَّةِ في الدُّعاءِ ٨٦

(٣٤) لا تَسْتَعْظِمْ طَلَبًا أَنْ تَسْأَلَهُ رَبَّكَ ٨٩

(٣٥) بابُ الدُّعاءِ مَفْتوحٌ، ولا تَدري مَتَى تُجابُ دَعْوَتُكَ ٩١

(٣٦) استحضارُ المعاني عند الدُّعاءِ ٩٣

(٣٧) اسألْ ربَّكَ كلَّ شيءٍ ٩٦

(٣٨) دعواتُ الكتابِ والسُّنَّةِ جوامِعُ لا مِثيلَ لها ٩٨

(٣٩) البسط في المطالبِ ممّا يُندَبُ إليه في الدُّعاءِ ١٠٥

(٤) توجيهاتٌ مهمَّةٌ في الدُّعاءِ (٤٠-٦١) ١٠٩

(٤٠) لا تَحْمِلْ هَمَّ الإِجابةِ، ولكِنِ احْمِلْ هَمَّ الدُّعاءِ ١١١

(٤١) اسْتَحْضِرِ النِّعَمَ الَّتي عِندَكَ وَأَنْتَ تَدْعو رَبَّكَ ١١٣

(٤٢) كَرامَةُ اللهِ لِمَنْ يَدْعُوهُ ١١٥

(٤٣) أَعْظَمُ المَطالِبِ تَتَحَقَّقُ بِالدُّعاءِ ١١٧

(٤٤) لِلدُّعَاءِ ثَمَرَةٌ وَلَا بُدَّ ١٢١
(٤٥) الدُّعاءُ وَالذُّنُوبُ ١٢٣
(٤٦) مَع هَدْيِ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي الدُّعَاءِ ١٢٥
(٤٧) الدُّعاءُ وَتَعَدُّدُ العَطايا مِنَ الرَّحمنِ ١٢٨
(٤٨) مُلاحَظَةُ العِوَضِ مِنَ اللهِ وَإِنْ فَاتَتْكَ بَعْضُ المَطالِبِ ١٣٠
(٤٩) الدُّنْيا لَيْسَتْ دارَ إِدْراكِ المَطالِبِ كُلِّها ١٣٢
(٥٠) مَسَائِلُ الآخِرَةِ أَنْفَعُ لِصَاحِبِهَا، وَأَوْلَى بِالْعِنَايَةِ ١٣٥
(٥١) إِجابَةُ الدُّعاءِ وَزِيادَةُ الْيَقِينِ ١٣٨
(٥٢) إِجابَةُ الدُّعاءِ وَالْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ ١٤١
(٥٣) التَّغَيُّرَاتُ فِي حَياتِكَ تُنْبِئُكَ بِكَثْرَةِ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ ١٤٣
(٥٤) وَمَرَّةً أُخْرَى مَعَ دَعَوَاتِ الأَنْبِياءِ؛ لِأَنَّهَا عَظِيمَةٌ وَشَرِيفَةٌ ١٤٥
(٥٥) اللهُ واسِعُ الفضلِ والعطاءِ ١٥١
(٥٦) رِضا اللهِ عَمَّنْ يَدْعوه ١٥٢
(٥٧) حَوائِجُ العَبْدِ لا تَنْتَهِي ١٥٣
(٥٨) الشَّدائِدُ وَالدُّعاءُ ١٥٤
(٥٩) ما مِنْ شِدَّةٍ إِلَّا بَعْدَها فَرَجٌ ١٥٦
(٦٠) لا تُعَلِّقِ النَّاسَ بِالإِجابَةِ المُباشِرَةِ عِندَ الدُّعَاءِ ١٥٨

(٦١) لَعَلَّهُ يُسْتَجَابُ دُعاؤُك بَعْدَ سِنِين، وَرُبَّمَا بَعْدَ وَفاتِكَ ١٥٩

(٥) الدُّعاءُ وأسماءُ اللهِ الحُسنى (٦٢-٦٤) ١٦١

(٦٢) الدُّعاءُ بأسماءِ اللهِ الحُسنى ١٦٢

(٦٣) التوسُّلُ إلى اللهِ بأسمائِه الحُسنى وصفاتِه العُلى ١٦٤

(٦٤) اسْمُ اللهِ الأَعْظَم ١٦٧

(٦) الدُّعاءُ والعباداتُ القلبيَّة (٦٥- ٧٧) ١٦٩

(٦٥) حُضورُ القلْبِ في الدُّعاءِ، والحَذَرُ من الغَفْلَةِ فيه ١٧١

(٦٦) الدُّعَاءُ وَخُشُوعُ القَلْبِ ١٧٣

(٦٧) الدُّعَاءُ وَالافْتِقَارُ إِلَى اللهِ ١٧٤

(٦٨) (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) ١٧٦

(٦٩) فَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللهِ ١٨٠

(٧٠) رِضَا العَبْدِ لاخْتِيَارِ رَبِّهِ لَهُ ١٨٢

(٧١) حتّى تَتَلَذَّذَ بالدُّعاءِ وتُكثِرَ منه ١٨٥

(٧٢) الدُّعاءُ وانشراحُ الصَّدرِ ١٨٧

(٧٣) اغْتِنَامُ سَاعَةِ إِقْبالِ القَلْبِ عِنْدَ الدُّعَاءِ ١٨٩

(٧٤) ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ١٩٠

(٧٥) الدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ ١٩٢

(٧٦) وَلَكَ بِمِثْلٍ ١٩٤
(٧٧) مَا نَصِيبُ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَصْحَابِ الحَوَائِجِ وَالْمَهْمُومِينَ مِنْ دَعَوَاتِكَ ١٩٦
(٧) الدُّعاءُ ومَواطِنُ الإجابَةِ (٧٨-٩٦) ١٩٨
(٧٨) كَثْرَةُ مواطِنِ الإجابَةِ وأَوْقاتِها مِن دَلائِلِ رَحْمَةِ الله وإرادَتِه كَرامَةَ مَن دَعاه ٢٠٠
(٧٩) اجتماعُ الساعاتِ النفيسةِ للدُّعاءِ ٢٠٢
(٨٠) الدُّعاءُ والمَواسِمُ الفاضِلَةُ ٢٠٤
(٨١) الصَّلاةُ والدُّعاءُ ٢٠٦
(٨٢) الدُّعاءُ عندَ الأذانِ ٢١١
(٨٣) الدُّعاءُ ما بَيْنَ الأذانِ والإقامَةِ ٢١٤
(٨٤) الدُّعاءُ في السُّجودِ ٢١٦
(٨٥) الدُّعاءُ في خِتامِ الصَّلاةِ ٢١٩
(٨٦) ساعَةُ الإجابَةِ في كُلِّ لَيْلَةٍ من لَيالي العامِ ٢٢٣
(٨٧) الدُّعاءُ في جَوْفِ اللَّيْلِ وساعَاتِ السَّحَرِ ٢٢٥
(٨٨) يومُ الجُمُعَةِ والدُّعاءُ ٢٢٧
(٨٩) الدُّعاءُ بَيْنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ يَوْمَ الأَرْبعاءِ ٢٣١
(٩٠) الدُّعاءُ في العَشْرِ الأواخرِ وأَرْجاها لَيْلَةُ القَدْرِ ٢٣٣
(٩١) دُعاءُ الصَّائمِ مُستَجابٌ ٢٣٥

(٩٢) ودُعاءُ المُسافِرِ مُستَجاب ٢٣٨

(٩٣) الدُّعاءُ عند نُزولِ المَطَر ٢٤٠

(٩٤) الدُّعاءُ عند تلاحُمِ الصُّفوفِ والقِتالِ في سبيلِ الله. ٢٤٢

(٩٥) الدُّعاءُ لِلميِّتِ في الصَّلاةِ عَلَيْهِ وبَعْدَ دَفْنِه ٢٤٤

(٩٦) الدُّعاءُ وأَذْكارُ الصَّباحِ والمَساء ٢٤٦

(٨) أدْعِيَةٌ جامِعَةٌ ذاتُ مَنْزِلَةٍ وَشَأْنٍ (٩٧-١١١) ٢٤٩

(٩٧) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٢٥١

(٩٨) ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ٢٥٣

(٩٩) ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ٢٥٦

(١٠٠) ربِّ أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ، وَأَعوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ٢٥٨

(١٠١) ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٢٦٠

(١٠٢) (ثَلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ) ٢٦٣

(١٠٣) دُعاءُ الوالِدِ لِوَلَدِه ٢٦٥

(١٠٤) دُعاءُ الوَلَدِ لِوالِدَيْه ٢٦٨

(١٠٥) ودَعْوَةُ الإمامِ العادِل ٢٧١

(١٠٦) سُؤالُ اللهِ العافِيَةَ ٢٧٣

(١٠٧) سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ ٢٧٧

(١٠٨) (وأفْضَلُ الدُّعاءِ: الحَمْدُ لِلَّهِ) ٢٨٠

(١٠٩) الدُّعاءُ بوَصْفِ الحال ٢٨٢

(١١٠) ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ٢٨٤

(١١١) ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ ٢٨٦

۞ مُلَخَّصُ الكِتابِ ٢٨٨

۞ الفهرس ٢٩٨

